دار الكتاب الصوفي
تقدم لك

إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين

رداً على نظرية دارون

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
استاذ الشريعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض

فيها كتب قيمة
دار الكتاب الصوفى
إحدى أوجه نشاط الطريقة العزمية
١١٤ شارع مجلس الشعب

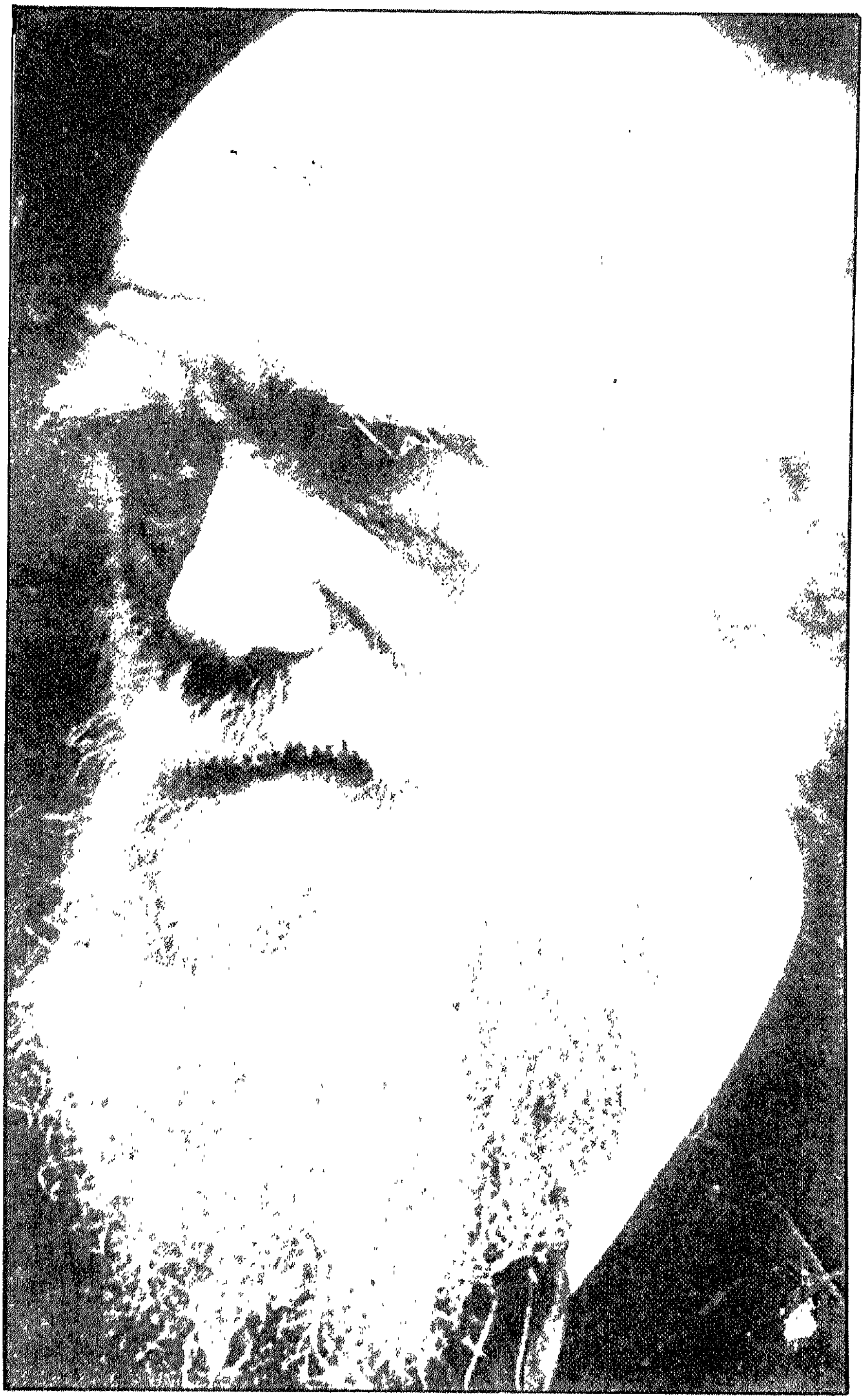
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٣ م

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إنسان المؤمنين
وإنسان الملحدين

ردًّا على نظرية دارون



تشـــارلز دارويـــن

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى إليه نصبت وجهى ، وإليه مددت يدى ، فبعزتك استجب لى دعائى ، وبلغنى مناى ، ولا تقطع من فضلك رجائى ، واكفنى شر الجن والإنس من أعدائى يا سريع الرضا ، اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، فإنك فعال لما تشاء ، يا من اسمُهُ دواء ، وذكره شفاء ، وطاعته غنى ، إرحم من رأس ماله الرجاء ، وسلاحه البكاء ، يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا نور المستوحشين فى الظُلم ، يا عالما لا يعلم .

وصلى الله وسلم على حبيبك ومصطفاك ، الظاهر لهداية أهل العناية ، والحجة على أهل الغواية ، المجمل بالخلق العظيم ، صلاة تستبين لنا بها مناهجه ، وتتضح سبله حتى نتناول بها راح الحال والقال والعمل ، حتى تشرق على أبداننا أنوار معاملته ، وعلى قلوبنا أسرار علومه ، وعلى أرواحنا كمالات مشاهدته .

وعلى أله الطبين الطاهرين الذين توسلتُ بهم الى الله ، واستشفعت بهم وبحبهم وبقربهم أرجو النجاة . اللهم أنى أسئلك بحق هؤلاء الهادين المهدين المطهرين أن تغفر لى ذنوبى وتوصلنى إلى مرادى ومطلوبى ، اللهم ارزقنا فى الدنيا مودتهم وفى الآخرة شفاعتهم ، واحشرنا معهم وتحت لوائهم يا أكرم الأكرمين وارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وعلى صحابته الهادين المهدين . ورضى الله تبارك وتعالى عن الامام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم أوضح الله به أسرار الكتاب ، عبرة لأولى الألباب ، ما خاب من تمسك به ولجأ إليه . ونضر الله وجه خليفته الأول الامام الممتحن مولانا السيد أحمد ماضى أبو العزائم الصابر على نزول بلائك ، الشاكر لفواضل نعمائك ، الذاكر لسوابغ ألائك ، الفرِحُ دائما للقائك ، المتزود بالتقوى ليوم جزائك ، المشغول عن الدنيا بحمدك وثنائك .

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفى ـــ وهى إحدى أوجه نشاط مشيخة الطريقة العزمية ـــ الطبعة الأولى من كتاب « انسان المؤمنين وانسان الملحدين » ردا على نظرية داروين للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم .

انسان المؤمنين :

الإنسان هو هذا الكائن الحيُّ المنتصبُ القامة، ذو العقل والتفكير والأخلاق الفاضلة، والعواطف الجيَّاشة، والإحساسات الصادقة، والمنطق السليم، والكلام الفصيح المبين. ابتدأ الله تعالى خلقه من طين، ثم جعل ذريته من سلالةٍ من ماء مهين، إذ خلق آدم من طين بيديه، ونفخ فيه من روحه، وخلق منه أنثاهُ حوّاء، وعلمه الأسماء، وأسجَد له ملائكة السماء، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى. ونهاه عن الأكل من الشجرة فنسيَ، فأكل منها، فعصى وغوَى، وتلقى كلمات منه تعالى، فقالها فتاب عليه وهَداه، وأهبطه إلى الأرض خليفةً فيها بعد أن هيأها له، وسخَّر له كلَّ ما فيها.

هذا هو الإنسانُ فى معتقدنا، وهذه حقوقه عندنا: حرمةُ دمه، وماله، وعرضه، واحترام مشاعره وعواطفه وأخلاقه، والاعتراف بُحرياته الشخصية مالم يخلّ بكرامته. ومصالح الهيئة الاجتماعية التى هو أحد أفرادها، وجزء من أجزائها.

الإنسان فى الكتاب والسنة :

وأدلة عقيدتنا هذه فى الإنسان هى أخبار خالقه عنه، وعن كيفيه خلقه وتنشئته، وأخبار سيدنا رسول الله ﷺ كذلك عنه.

وبعد: فهذه الأقوال الإلهية، والأحاديث النبوية كلها قاضية بخلق آدم عليه السلام خلقا مباشراً. خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأسكنه جنته، ثم أخرجه منها لما أكل من الشجرة فعصى.

أولا : فى الكتاب :

قال تعالى فى خلق آدم، «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون»(١).

وقال عنه أيضاً: «وإذ قال ربك الملائكة إنى خالق بشراً من طين فإذا سّويته ونفخْتُ فيه من روحى فقعوا له ساجدين»(٢).

---

(١) سورة الحجر ٢٦ .

(٢) سورة ص الآيتان ٧١، ٧٢ .

وقال عنه أيضاً : الذى أحسن كلّ شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين »[١] .

وقال فى خلق ذريته : « ثم جعل نسله من ماءٍ مهين »[٢] . وقال فى خلق الإنسان الذى هو ابنُ آدم :

« إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاج »[٣] . وقال فى خلقه أيضاً : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين . ثم جعلناه نطفةً فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة عَلقة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسؤنا العظامَ لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخرَ ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين »[٤] .

وقال : « الرحمنُ علم القرآنَ خلق الإنسان علمه البيان »[٥] . وقال فى خلقه — آدم — بيديه وتسويته له ، وإسجادِ ملائكته له : « إذ قال ربُّك للملائكة إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقَعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ، وقال : يا إبليس ما منعك أن تسجدَ لما خلقتُ بيدى أستكبرت أم كنت من العاليين ؟ قال : أنا خيرٌ منه خلقتنى من نار وخلقته من طين »[٦] .

ثانيا : فى السـنة :

وأقوال رسوله ﷺ التى تلقاها وحياً من ربه سبحانه وتعالى فقد روى مسلمُ فى صحيحه عنه ﷺ قوله : « خُلقت الملائكة من نورٍ ، وخْلق الجان من مارج من نارٍ ، وخْلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم »[٧] يعنى ﷺ وخلق آدم من طين . كما بين ذلك فى القرآن الكريم .

وقال ﷺ فى رواية البخارى ومسلم : « يَجتمعُ المؤمنون يومَ القيامة فيقولون : ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟! فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : أنت أبو البشرِ

(١) سورة السجدة الآية ٧.

(٢) سورة السجدة الآية ٨.

(٣) سورة الإنسان الآية ١ .

(٤) سورة المؤمنون الآيات ١٢ - ١٤ .

(٥) سورة الرحمن الآية ١ - ٤ .

(٦) سورة ص الآيات ٧١ - ٧٦ .

(٧) متن مسلم ٨/ ٢٢٦ .

خَلقَك الله بيدِه ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك . إلخ[1] ... والشاهدُ منه فى قولِهِ ﷺ خلقَك الله بيدِه . فلو لم يكن خَلقهُ خلقاً مباشِراً ، وإنما كان كخلقِ سائرِ الناس لما كان لذكر اليدِ والخلقِ أيُّ ميزة ، أو فضيلةٍ على خلقِ غيرهِ من بنى آدم .

وقال ﷺ فى رواية البخارى ومسلم وأحمد واللفظُ له : « احتجَّ آدمُ وموسى فقال موسى : يا آدمُ أنت الذى خلقَك الله بيدِه . ونفخَ فيك من روحه أغويتَ الناسَ وأخرجتهَم من الجنةِ . قال : فقال آدمُ : وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامِه تَلومنى على عملٍ أعمله قدّره الله علىّ قبلَ أنْ يخلق السمواتِ والأرضَ بأربعين سنة ! قال : قال فحجَّ آدمُ موسى »[2] .

وقال ﷺ فى رواية أحمد وأبى داود والترمذى وصححها « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك »[3] .

وقال ﷺ : فى رواية مسلم : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة »[4] .

ومن آدم وحواء وبطريق التناسل والخلق التدريجى خلق الله ذريته فى كمالهم وجمالهم فصحاء عقلاء سادة فى الأرض ، قد سخر الله لهم كل ما فيها لينتفعوا به فى حياتهم الدنيا ، وبعث فيهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب تكميلا لآدميتهم وإسعاداً لهم فى حياتهم ، وإعداداً لهم بواسطة تزكية نفوسهم ، وتطهير أرواحهم للسعادة الأخروية فى الملكوت الأعلى بعد موتهم وانقضاء آجالهم . هذا هو الإنسان المكرم فى معتقد المؤمنين أجمعين .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (١/٤٩/٥٠) .

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٣/٢١١) مسلم (٨/٤٩) . وكذا أبو داود فى (٢/٥٢٨) والفتح الربانى (١/١٢٧) وألفاظهم متقاربة .

(٣) أبو داود (٢/٥٢٥) والترمذى فى تفسير سورة البقرة . وأحمد فى (٥/٣٣٨) .

(٤) مسلم (٣/٦) .

الإنسان فى معتقد الملحدين:[1]

أما الإنسان فى معتقد الملحدين فهو متحول عن خلية هبطت من بعض الكواكب إلى الأرض ثم تمت فيها فكانت حيواناً رديئاً فى أبسط شكل، ثم تغيرت الأرض بفعل بعض المؤثرات الطبيعية، فاضطر هذا الحيوان المخلوق لتغيير شكل معيشته، فتبع ذلك تغير فى صفاته، ثم استحال مع طول الزمن وكثرة المؤثرات[2] المختلفة إلى أحوال فارق فيها جنسه الأول، ثم ارتقى إلى قرد على مبدأ النشوء والارتقاء الذى فتنوا به ثم مرت عليه ملايين السنين فارتقى إلى حيوان آخر هو بين القرد والإنسان بواسطة بينهما، ثم انقرض هذا الحيوان الواسطة بدليل عدم العثور عليه فى آثار الأحياء. ولعل انقراضه كان على مبدأ الانتخاب الطبيعى، والبقاء للأصلح كما يقولون، ومن ذلك الحيوان الواسطة المفقود ارتقى الانسان إلى ما هو عليه الآن !!.

وبنوا معتقدهم هذا فى خلق الإنسان، وأنه متحول من القرد على أساس مجموعة نظريات هى الانتخاب الطبيعى، والبقاء للأصلح، والنشوء والارتقاء، والمطابقة، وعامل الوراثة. وهى فى الجملة نظريات صحيحة معلومة بالحس، وهى سنن الله تعالى فى الخلق والتكوين لكثير من المخلوقات ــ فالإنسان ابن آدم يوجد أولا خلية فى نطفة الرجل وماء المرأة، ثم يكون حيوانا منويا ذكراً أو أنثى، ثم يتلاقح كما هى سنة الله تعالى فى اللقاح، ثم يتدرج خلقه من حال إلى حال إلى أن يتم خلقه فيصير بشراً سويا كما جاء ذلك فى قوله تعالى: «ثم جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين»[3]، وكما صح به قول الرسول ﷺ:

---

(١) تشارلس داروين: من علماء التاريخ الطبيعى، ولد في بريطانيا "ويلز" فى ١٢ فبراير ١٨٠٩ ومات فى ١٩/٤/١٨٨٢ من أسرة عريقة فى الطب فقد كان جده وأبوه طبيبين، نشأ شغوفا بالبحث يجمع الأشياء من نبات وحيوان، قضى خمس سنوات من البحث فوق سفينة الأبحاث بيجل، وسجل مشاهداته فى كتابه أصل الأنواع، وهو الذى عرض فيه نظريته فى التطور، ومن كتبه: مذكرات رحلة حول العالم ــ أصل الأنواع ــ أصل الإنسان ــ التعبير عن العواطف فى الإنسان والحيوان ــ النباتات الآكلة للحشرات... وغيرها.

(٢) لا غرابة فى هذا التصور المضحك المزرى، لأنه البديل لهم عن الإيمان بخلق الله تعالى للإنسان. إذ أنهم لو آمنوا بأن الله تعالى خلق آدم خلقاً مباشراً كما ذكر تعالى، لآمنوا بالله وعبدوه، وهم لا يريدون ذلك، فلذا هم مضطرون إلى هذا الافتراء والهراء والتلفيق أعماهم الله ولعنهم.

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ١٣، ١٤.

« وإن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكوف مضغة مثل ذلك ، ثم يأتى إليه الملك فينفخ فيه الروح . ثم يؤمر بكتب أربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد »[١] ، وقد سئل رسول الله ﷺ : « بم يكون الشبه فى الولد ؟ فقال فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد لها ، وإذا سبق ماء المرأه ماء الرجل نزع الولد له » رواه البخارى[٢] . وهو إشارة إلى عامل الوراثة . وعجمة التمر تلقى فى الأرض نواة لا حياة فيها ، ثم تنفلق عن غصن أخضر . ثم يتدرج خلقها حتى تصبح نخلةً باسقةً لها طلع نضيد رزقاً للعباد ، وبالجملة فسنن الله تعالى فى الخلق التدريجى فى الإنسان والحيوان والنبات ثابتة لا تنكر ، وسنته تعالى فى انتقال صفات الأصل إلى فرعه ثابتة كذلك ، وسنته تعالى فى البقاء للأصلح ظاهرة فى كثير من الكائنات ، ولكن هذه السنن هى من خلق الله وتقديره ، وهى خاضعة لإرادته ومشيئته ، ولذا يخرقها بالمعجزات التى يعطيها لأنبيائه تدليلا على صدق ما ادعوه من أنهم أنبياؤه ورسله ، فخلق عيسى عليه السلام كان على خلاف سنة الخلق المعروف فى سائر بنى آدم كما قال تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كُنْ فيكون »[٣] وتكلم عيسى فى المهد فى أسبوع ولادته كان على خلاف سنة الله تعالى فى نطق الإنسان الذى لا يتم إلا بعد قطع الطفل مرحلة من حياته . وسلامة إبراهيم من إحراق النار لما يلقى فيها من أجسام قابلة للاحتراق ، وأمثله إبطال الله تعالى لسنته فى خلقه متى شاء ، ذلك كثيرة . والمقصود من هذا أن ما يسميه الملاحدة بالقوانين الطبيعية ويتخذون منه دليلا على كفرهم بالله تعالى ، ما هو فى الواقع إلا سنن الله تعالى التى أودعها فى الكون . يوجد بها ويخلق ما يشاء إيجاده وخلقه ، وهى خاضعة لله تعالى متى شاء أمضاها ، ثابتة لا تتغير ، ولا تتبدل كما قال الله تعالى : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا »[٤] ومتى شاء أوقفها وأبطلها لحكمة منه اقتضت ذلك وهو العزيز الحكيم .

بيد أن خلق آدم وحواء عليهما السلام كان بالخلق المباشر ، ولم يكن أبداً كما

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود مطولا (راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/ ٢٠٧ـــ ٢٠٨) طبعة عيسى الحلبى وشركاه .

(٢) (فى ٥/ ٨٨، ٤/ ١٠) متن مسلم بلفظ (إذا علا ماؤها ماء الرجل شبه الولد أخواله . وإذا علا ماء الرجل ماءها شبه أعمامه (١/ ١٧٣) منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت .

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٩ .

(٤) سورة فاطر الآية ٤٣ .

تخيل الملاحدة، وتصوروا، لاخبار الله تعالى وأخبار رسله التي يستحيل فيها الكذب، هذا وقد ناقش العلماء المؤمنون هذه النظرية الدارونية التى أصبحت مذهب الملاحدة ومعتقدهم، وأبطلوها نهائياً بنفس المقاييس والنظريات الطبيعية التى أثبتها الدارونيون بها.

وهذه بعض الاعتراضات التى عورضت بها النظرية الدارونية وأبطلتها:

١ ـ إذا كانت نظرية النشوء والارتقاء مطردة فى كل شيء فعن أى شيء ترقت الأنعام التى هى الإبل والبقر والغنم؟[1]، وعن أى شيء ترقت البهائم ذات القوائم الأربع: الخيل والبغال والحمير، والأسد والنمر والفيل والذئب والكلب.

٢ ـ ومضت القرون الطويلة على هذه الحيوانات ولم تترق إلى ما هو أكمل منها إذ الكمال لا حد له، فبقى الفرس فرساً، والكلب كلباً، والأسد أسداً، والذئب ذئباً. والإنسان إنساناً منتهياً كل منها إلى ما هو عليه الآن، ومنذ قرون طويلة ؟؟؟

٣ ـ لم بقى القرد الأول، وانقرض الحيوان الواسطة الذى ترقى من القرد؟ فلو كانت نظرية البقاء للأصلح، والانتخاب الطبيعى مطردة لانقرض القرد الأول وبقى الحيوان الواسطة الذى ترقى عن الأول، لأنه أكمل منه وأصلح والبقاء للأصلح ؟؟

فلم هنا كان البقاء لغير الأصلح؟ ولم أساء الانتخاب الطبيعى هنا فانتخب الناقص فأبقاه ولم ينتخب الكامل فأرداه؟

٤ ـ إن مذهبكم المادى قائم على أساس نكران القياس والنظر والاستدلال. فلم تؤمنوا بغير المرئى المحسوس، فلم خالفتموه هنا، وقلتم بالنظر والقياس والاستدلال، لأنكم ما شهدتهم الخلية الأولى التى زعمتم أنها نزلت من بعض الكواكب. كما أنكم لم تشاهدوا المؤثرات الطبيعية التى زعمتم أنها اقتضت من الحيوان الأول أن يغير أسلوب معيشته حتى ترقى تبعاً لذلك، كما أنكم لم تشاهدوا الحيوان الواسطة وقلتم بمجرد النظر والقياس، وبذلك نقضتم مذهبكم المادى، وخرجتم عنه، فثبت عجزكم، وبطل معتقدكم فى النظرية الدارونية التى قال عنها أحد العلماء المؤمنين: «إنها نظرية أبوها الكفر وأمها القذارة ..».

---

(١) يقول الله تعالى من سورة الزمر «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج الآية (٦) فلتنظر كيف عبر تعالى عن خلق الأنعام بلفظ الإنزال ولم يعبر بلفظ الإخراج كما قال فى الثمار «وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم» من سورة البقرة الآية (٢٢).

وأخيرا فقد اعترف كبار أصحاب النظرية الداورنية بعجزهم وقالوا : بالحرف الواحد : إن نظرية النشوء والارتقاء ليست ثابتة علمياً ، ولا سبيل إلى إثباتها بالرهان أبداً ، وإنما آمنا بها ، لأنها البديل الوحيد عن الايمان بالله ! .

وبهذا افتضحت اللعبة ، واكتشفت الجريمة . والحمد لله .

لذلك رأينا أن ننشر هذا الكتاب رداً على نظرية داروين للإمام المجدد أبى العزائم ، ليتجلى الفرق بين الإنسان عند المؤمنين ، والإنسان عند الملاجدة الدارونيين ، فيقول رضى الله عنه :

الإنسان عند المؤمنين :

خلق فى السماء خلقاً مباشراً مستقلا ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له ملائكة السماء ، خلقه فى أحسن تقويم ، وخصه بالتكريم بين العالمين .

حرم دمه وماله وعرضه إلا بحق . أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، فهيأه بذلك للكمال ، وأعده لسعادة الحال والمآل . أخبر عن خلقه ، وتكوينه ، وكرامته ، ومآله ، وخالقه وأنبيائه الذين أرسلوا إليه .

الإنسان عند الملحدين :

خلق بواسطة النشوء والارتقاء فى أقبح صورة ، ثم تدرج فى ملايين السنين إلى أن أصبح قرداً ، ثم ترقى إلى حيوان أرقى من القرد فى ملايين أخرى من السنين ، ثم صار إنسانا بعد ملايين السنين .

أخبر عن خلقه ونشوئه وتكوينه كبار الملاحدة ، وشرار الناس ، وأكثرهم فساداً وفجوراً و مآله الهلاك والدمار ، فلا خلود له ولا بقاء .

والآن يا معشر العقلاء فأى الإنسانين أحق بالتكريم ، وأى الإنسانين يجب أن يعترف به الناس أجمعون ، إنسان المؤمنين أم إنسان الملاحدة (الدارونيين) ؟!

إنه من المسخ فى العقول والشذوذ فى الفهوم ، والانحراف فى الفطر فالقول بنظرية (الدارونيين) فى الإنسان ، إنها نظرية فاسدة خبيثة أبوها الكفر وأمها القذارة .

وبعد فهذا هو الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم استاذ الشريعة الإسلاميه بجامعة الخرطوم سابقا ـــ يرد فى هذا الكتاب على نظرية دارون التى أشاعها عملاء الاستعمار فى أمتنا الإسلامية فحباه الله بعلم تتقاصر العقول عن تصوره وجعله من خواص الأئمة المجددين رضى الله عنهم.

اللهم اجعلنا من ورثة مدد الإمام أبى العزائم ومن خاصة أحبائه فى الدارين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

دار الكتاب الصوفى
فى يوم الاثنين
٢٢ محرم ١٤١٤ هـ
١٢ يوليو ١٩٩٣ م

شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

الباب الأول

الأدلة على بطلان الزعم القائل بأن الإنسان أصله قرد

١ - علم التشريح حجة على بطلان هذا المذهب وسخافة القائلين به :

إنك أيها المدعى لترى الفرع أنقص من الأصل بالحس ، هذا البغل فرع الحمار والحصان وهو أنقص منه لأنه فقد المبيض (تجويف فى الرحم يكون به التوالد) وترى الحيوانات المتولدة من نوعين تفقد كثيرا من حقائقها بالحس ، ولكنك أيها الإنسان ترى الفرع الذى هو أنت أكمل فى الحقائق من الأصل الذى هو القرد، فإنا إذا شرّحنا منصف رأس الإنسان ورأس القرد ، نجد فى رأس القرد أربع غدد : غدة للسمع لو مسّت بمفرق لسلب السمع ، وغدة للبصر ، وغدة للشم ، وغدة للذوق . ويرى فى رأس الإنسان خمس غدد : أربع منها للسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، والخامسة غدة هى خزانة نطق اللسان وهذه مفقودة فى القرد ، فمن الذى أودع تلك الغدة فى رأس الفرع وهى لم تكن موجودة فى الأصل ؟ !! حتى أن تلك الغدة لو فسدت لخرس اللسان .

والإنسان كما يدعى هذا المضل فرع القرد ، وفرع الشيىء قد لا يبلغ كماله النوعى الا بعناية فكيف يزيد عليه ؟ !!

٢ - تنوع الحقيقة وصفا وهيئة أكبر هدم لنظرية داروين :

فالإنسان حيوان إلا أنه

أ - طويل القامة

ب - عريض الاظافر

ج - ضاحك بالطبع

والقرد حيوان يفارق الإنسان فى الهيئة وبعض الصفات وهذا هو التنوع

٣ - إن المجتمع الإنسانى غير عالم الحيوان :

إذاً فى المجتمع الإنسانى نظام وترق ، فالإنسان جمله الله بمعانى العلم والحكمة

والعدالة والرحمة ، وصاغ الله نفسه من أصفى الجواهر النورانية ، وجعله وسطا ، وأيده بروح وقوة منه سبحانه ليدفع ظلم الظالمين ، ويكبح جماح النفس الشهوانية والغضبية ، ويحفظ الثغور ، ويقيم الحدود ، ويقطع شأفة ما يضر بالقوة النفسانية كالخمور والمخدرات وما يضر بالأموال كلعب الميسر ، وما يضر بالاجسام ويمحو الخلافات الناتجة بسبب الغلو فى الدين وأهل الآراء الباطلة .

وليس فى عالم الحيوان شيىء من ذلك ...

فكيف يكون الفرع أعلى من أصله وهو القرد ؟!!

٤ – جعل الله الإنسان جوهرة عقد المخلوقات :

خلق الله الإنسان بيديه فى أحسن تقويم مبناه ومعناه : أما مبناه فمن كل معادن الأرض ، فجمع أركان الوجود الماء والتراب والهواء والنار ذلك هيكله ، وأما معناه فقد جمع الله فيه حقائق الوجود سماء وأرضا ، فالإنسان شيطان وأضل ، ووحش وأضر ، وملك وأفضل .

فسبحان من أظهر عجائب قدرته ، وغرائب حكمته ، فى مبدع بدأ خلقه من سلالة من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين .

وللعقول أن تحار فى الإنسان ، فبينا تراه وروحه فى ملكوت الله الأعلى سابحة، مشرفة على قدس العزة والجبروت ، إذا بك تراه فى أسفل سافلين ، أضل من الأنعام ، بل فوق عالين ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾(١).

هذا هو الإنسان الذى خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته ، وجعل الأرض له مقرا للإقامة ، ومستقرا له بعد الموت ، ثم ينشئه النشأة الثانية فيمنحه الملك الكبير .

وقد سخر الله للإنسان كل مافى الملك والملكوت ، وصرفه تصريف الربوبية فى الملك ، لذلك جعل الله الإنسان خليفة عنه فى هذا العالم ، ووعده عند الاستقامة أعظم الكرامة ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾(٢).

وخلق الله لبنى آدم كل مالابد لهم منه فى حالتى الضرورى والكمالى، ولا مانع

(١) سورة آل عمران آية ١٣٩ .

(٢) سورة الإنسان آية ٢٠ .

من أن الله وضع فى كل حقيقة كون منها الإنسان علما ضروريا بكل الأشياء اللازمة لتلك الحقيقة، فما من كائن فى الوجود إلا والإنسان محتاج إليه، لا فرق بين ما فى السماوات من أفلاك وغيرها، وما فى الأرجاء من المكونات، وما فى الأرض من نبات وحيوان وجماد، وما فوق ذلك من جمال الملكوت، وما فى الجنات من نعيم مقيم، لذلك كانت معرفة الإنسان وعلمه، بينما الحيوان لا يعلم شيئا من ذلك كله.

٥ - خلق الله تعالى حواء من ضلع آدم:

كانت حواء فرعا، وكان أصلا لها، وهذا هو السر الذى لأجله خلقت من ضلعه ليحصل منه السكون إليها، والحب منها له، فإن كل فرع يحب أصله،وكل أصل يحب فرعه، كما يحب الولد والده، والوالد ولده فى أصل الفطرة.

فأين هذا من دعوى أن الإنسان أصله قرد؟

٦ - الإنسان دينى بفطرته:

قال رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1] فكأن الإنسان يولد مؤمنا كامل الإيمان لاستئناسه ﴿بألست﴾[2] ومعلوم أن نور الحكمة حظر شهوده على الإنسان إلا بوحى، وقد تفضل الحق سبحانه فأرسل رسله المؤيدين بالمعجزات، فكأن المعجزات فى قوة قوله تعالى: ﴿صدق عبدى هذا وهو رسولى إليكم فاتبعوه﴾.

أيكون فى الفرع ماليس فى الأصل ؟!!

وأين دين القرود أو تدين الحيوان ؟!!

والإنسان هو المحجوب بالأدران النفسانية، المبعود بالحظوظ الحيوانية، لايذوق لذة الإيمان، ولا حلاوة الإحسان، بل ويدعوه الغرور إلى الانشغال بالنعم عن المنعم، فإذا أذاقه الله ألم الاحتياج يئس وباع دينه بدنياه، حتى يزكى نفسه بنور التسليم والانقياد

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٨٠، ٩٢ وكتاب تفسير القرآن "تفسير سورة الروم" الباب الأول ومسلم فى كتاب القدر الحديث ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ١٧ والترمذى فى كتاب القدر الباب الخامس والموطأ في كتاب الجنائز الحديث ٥٢ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٣٣، ٢٧٥، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٨١ والجزء الثالث صفحة ٣٥٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

ودراسة العلم النافع .

فأين هذه المعانى فى الأصل المزعوم؟!!

٧ - فى الإنسان قوى مفارقة:

منها العقل العلمى وهو الذى يستنبط ما يجب فعله من الأفعال الإنسانية، ويقيس الأشباه والنظائر التى لم يرد بها نص.

ومن تلك القوى أيضا العقل العلمى وهو الذى يتم به جوهر النفس، وتصير نفسا طاهرة زكية بالفعل، وتتفاوت مراتبه فقد يكون بالوهب أو بالكسب.

تلك القوى التي تدرك المعقولات روح مجردة ليست بجسم، وتلك الروح تبقى بعد موت البدن لأنها ليست قابلة للفساد، وهى المعنية بقول الله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾(١). وقوله تعالى: ﴿يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾(٢).

وليس ذلك فى القرد أو غيره من الحيوان .

٨ - طرق العلم هى الخبر الصادق :

الحس الصحيح، والعقل الكامل، معنى قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون﴾(٣). فجعل سبحانه الأسماع للخبر الصادق، والأبصار لشهود الأكوان الدالة على مكونها سبحانه، والقلوب لفقه الآيات الدالة على القادر الحكيم المصور البديع المنعم، ومن تمام الفضل الإلهى إرسال الرسل معلمين للخير دالين عليه .

فأين ذلك فى الأصل المزعوم، والجد الموهوم، القرد وأشباهه ؟!!

٩ - فى النوع الإنسانى تظهر الصور:

وفى النوع الإنسانى تظهر الصور الكاملة والصور الأكمل أمثال الأنبياء والمرسلين، وهم أعلى من الملائكة قدرا، حتى لقد سجدت الملائكة لآدم عليه السلام، وتميزت

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٧ - ٣٠ .

(٣) سورة النحل آية ٧٨ .

رتب البشر من الأنبياء والرسل منهم من كلم الله، ومنهم من أيده بروح القدس، ومنهم من لايعرفه إلا الله قدرا ومكانة .

فهل هذا فى عالم القردة ؟!!

وفى النوع الإنسانى وجد عيسى عليه السلام بلا أب، ووجد آدم عليه السلام بلا أب ولا أم، ووجد الناس جميعا من أب وأم .

فزعم الضالون أن كل مولود لابد له من والد، وعلى هذا فإما أن يكون ابن زنا وذلك مستحيل عادة وعقلا؛ لما أتى به من المعجزات الباهرة .

فهل وجد فى عالم القردة الأجداد أمثال هؤلاء الأمجاد ؟!!

١٠ - أنتجت الضرورة العمل والتعاون :

لابد من قانون يحكم العلاقات، وإلا خرب العمران من التقلب فى الرذائل والعدوان، والإنسان يحكم على الأبدان، أما تزكية النفوس فذلك لله ومن هنا جاءت الشرائع .

فهل فى عالم القردة شريعة؟!!

كما جاءت الشرائع مواكبة لتطور بنى آدم عبر العصور مثلا جاء نوح لهدم عبادة الأوثان المتفشية فى زمنه، ثم لوط لينذرهم عاقبة الفاحشة المنتشرة فيهم، ثم صالح ليعلمهم العدل والمساواة وجعل له الناقة آية، ثم سيدنا إبراهيم ليطهرهم من رجس الشرك ويوجههم إلى الله تعالى، ثم موسى عليه السلام، فلما غالوا فى الماديات أرسل سيدنا عيسى عليه السلام ليمحى تلك البدع بما جاءهم به من الحكمة والبيان، كما أرسل شعيبا ليعلمهم خلق الوفاء فى الكيل والميزان، حتى بعث الله خاتم رسله بالقرآن تبيانا لكل شىء من ضروريات وكماليات الإنسان، بل وفضائله النفسانية وكمالاته الروحانية لنيل سعادة الأبد.

فهل مرت مراحل أجيال القردة بمثل هذا التطور أيضا ؟

كما تطور القرد حتى صار إنسانا ؟!!

١١ - كل الوجود مراتب يعلو بعضها بعضا :

لكل الوجود مراتب يعلو بعضها بعضا ، فالنبات وسط بين أنواع المعادن والحيوان ،

فهي تزيد عن المعادن بالنمو وتنقص عن الحيوان بالحس والحركة، ولأن النبات تصادمه الأجسام الصلبة ويقطع الإنسان منه فلو وهبه الله الحس لكان عذابا له، فتأمل مراتب الوجود يخدم بعضها بعضا، ويعلو بعضها بعضا، والإنسان وحده بحكمة القادر الحكيم هو سيد هذه الكائنات .

فكيف للقرد أن يصل إلى هذا الرقى؟! ولم لم يصل غيره من الحيوان لمرتبة أعلى أو أدنى ؟!!

١٢ - ارتقاء النفس فى الهيكل :

إن تطور الهيكل من قرد لإنسان ، فكيف ارتقت النفس التى فى هذا الهيكل بحيث أصبح الإنسان لو تعلقت همته بجهة مما أعَد لها فى أحسن تقويم أو أسفل سافلين نالها ؟!! فهو إما مَلَك هائم فى جلال ربه، وإما غضوبا كسبع ، أو كسولا كبقر، أو جزعا ككلب، أو حقودا كجمل، أو جامعا لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مريدا وهو فى صورة إنسان .

ومعلوم أن النفس هى اللطيفة النورانية، بل هى أمانه الله المشرقة أنوارها فى هيكل الإنسان، يعرفها من عرف نشأته الأولى، وتحقق أن أسفل سافلين مفارق لأعلى عليين، وكيف جمع الله بينهما بقهر واقتدار، وجعل أسفل سافلين يرتقى حتى يخدم بالملائكة المقربين فى جوار رب العالمين.

وتلك المعانى فى الإنسان فقط فلا يدريها الحيوان

فهل يدرك القرد ذلك؟!

١٣ - من أين جاءت القوى المتنوعة فى الإنسان وليس لها فى القرد وجود ؟!!

انظر مثلا: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[١].

ثم انظر القوى الغاذية للطفل فى بطن أمه، ثم يوهب قوى الحس بأنواعها، ويجعل له قوة الميل فيشتاق قلبه إلى مايحبه أو يكرهه، ثم يجعل له سبحانه القوة المتخيلة وهى تركب وتفصل ، ثم قوة الميل لما تخيل أو الميل عنه، ثم القوة الناطقة وهى الحقيقة

---

(١) سورة النحل آية ٨٧ .

الخاصة للإنسان المميزة له عن بقية أنواع الحيوانات، وهى التى يمكن أن يعقل بها المعقولات ، ويميز بين الجميل والقبيح ، وبها يحوز الصناعات، ثم يمده الله بقوة فى قلبه يميل بها إلى ما يعقله ، ويشتاق إلى أن يتجمل بالحكمة وأسرارها .

ومن المعلوم كذلك أن القوى : قوة الشهوة ، وقوة الحمية ، وقوة الفكر.

فبإصلاح قوة الشهوة تحصل العفة ، فيحترز بها من الشره ، وإماتة الشهوة، ويتحرى المصلحة فى المأكول والمشروب.

وبإصلاح قوة الحمية تحصل الشجاعة، فيحتزر من الجبن والتهور والحسد، ويتحرى الاقتصاد فى الخوف والغضب.

وبإصلاح قوة الفكر تحصل الحكمة، حتى يحترز من البله والخبث ويتحرى إصلاح هذه القوى تحصل فى الإنسان قوة العدالة قال ﷺ: "أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك"(١).

هل ارتقى القرد حتى نال هذه المنازل الرفيعة؟!!

---

(١) رواه البيهقى في الزهد وله شاهد من حيث أنس .

الباب الثانى

لاتنبشوا القبور فى عصور النور
فتفتحوا أبواب الشرور

أفق العقل :

إن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ خلق الإنسان مفكرا عاقلا ؛ فيعمل فى جلب ماينفعه فى عالم الكون والسعادة من قوت ؛ ولباس ، ومسكن حفظا لصحته او استرجاعا لها إذا ألم بها السقم ؛ وخلقه مفكراً ليبحث بعقله فى الغاية التى خلق مؤهلا لها ، والحكمة التى أوجد لأجلها ، وكيف خلقَ ولم خَلَقَه ـــ ولمّا كان العقل لا يصل إلا إلى ما يستنتجه مما حكم عليه بحسه، وكان الحس لايدرك إلا ظواهر الكون فليس للعقل ـــ وإن كمل ـــ أن يقتبس من الغيب المصون إلا بقدر ما وصل إليه من أنواع الكائنات المختلفة بحسب مراتب الوجود بأن دائرة اختصاصه الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، وقد بلغ به البحث إلى أن حكم بأن مايحس بتأثيره ولم يره هو الجن .

الإنسان حيوان دينى بالطبع :

لما كان الإنسان حيوانا دينيا؛ كان يعبد ما ينفعه من المادة أو ما حكم عليه بالوهم مما شعر بتأثيره فقد عبد الأنهار ، وعبد الأحجار ، وعبد البقر ، ولما اتسعت دائرة الوهم عبد الصور ، حتى قوى العقل فعبد الأفلاك ، ثم عبد الملائكة ، ثم عبد الإنسان ولو أن العقل له السلطان على الغيب المصون لما ضل الإنسان هذا الضلال وجال العقل جولته فيما حوله فقهر المادة واستخدمها حتى كان السلطان الأكبر عليها وعلم خواصها ، وفوائدها ، وتحليلها ، وتركيبها فعلم أنه فوقها قدرا وأنها دونه منزلة ولكن ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾[1] هذا هو العقل الإنسانى لم يصل إلا إلى علم خواص المادة بما أودعه الله فيه كما انتفع كل نوع من الحيوانات بما أودعه الله فيه بقدر رتبته فالإنسان بقدر ضروراته انتفع . هذا أفق العقل وليس له أن ينفذ من أقطار السموات والأرض

---

(١) سورة عبس آية ١٧ .

ليطلع على الغيب المصون إلا بسلطان؛ لذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[1] .

الكون دلائل حكمة واقتدار:

قال الله تعالى ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾[2] وقال سبحانه وتعالى ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾[3] وإنى أعوذ بالله من جحود الحق بعد اتضاحه ، ومن كفران نعمة المنعم بعد اسباغها ، ومن توفير النعم وراحة الأبدان من العمل اللذين يعميان الإنسان عن المنعم المتفضل ويجعلانه يستعين بهما على جحود الحق وإنكاره . إن الله جل جلاله أظهر قدرته وحكمته لمن له أدنى بصر وأقل بصيرة ، فخلق الإنسان بعد أن هيأ له لوازمه فمهد له الأرض منبسطة أمامه لينتفع بها فى ضرورياته وكمالياته ، وخلق له الهواء الذى لا غنى له عنه نفسا، وخلق له النباتات التى بها قوام جسمه داخلا وخارجا، وخلق له الحيوانات التى بها تيسير كمالياته، وخلق له الماء الذى جعل منه كل شيء حى، والمعادن التى بها فتح كنوز الأرض، وخلق له جوا متنائى الأطراف ، وسقفا نثر فيه أنجما لاتحصى عدا ، وشمسا تضيىء أبدا يراها منتسقة انتساق العقد سابحا فى أفقها بأكمل انتظام، لكل كوكب منها منافع جمة وفوائد لا تحصى يراها بلا عمد يرفعها لا يختل نظامها ولا يتحول مدارها بحيث لو فقد الإنسان حقيقة من تلك الحقائق لفقد الحياة على الفور؛ وهذا النظام البديع الصنعة حجة تنادى : لم أوجد عبثا إذ لو وجدت عبثا لما كان هذا التدبير لبقائك أيها الإنسان ولما وجدت تلك الحقائق لحفظك ممتعا بالراحة والأمان !!

نظرة فيما حولك:

وإنا لنجد أن سياسة المجتمعات وتدبير نظامها بل نجاح الأعمال متوقف على حكيم مدبر يبرز تلك الصور بعد إرادة سابقة وتدبير وقدرة عجيبة وإرادة غريبة ولكن " قتل الإنسان ما أكفره " ، إنى لأعجب كيف ينحط الإنسان الى أن يكون أضل من البهائم الراتعة ، وأذل من الجمادات السافلة ، ويحك يا إنسان ! إن أكبر باحث علم خواص

---

(١) سورة النساء آية ١٦٥ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٠.

(٣) سورة مريم آية ٧٥ .

الأجسام الحية يجهل وظيفة الطحال ويعجب مما أودعه الله فى جسمك من الغدد التى بعضها يفرز المرارة، وبعضها يفرز الحلو، فالحامض، فالمذ، فالحريف، فالغض، فالعفص بحيث لو ضعفت غدة عن إفراز مادتها لا عتل الجسم واختل الميزان !!

هلا زكيت نفسك اولا ؟ :

إن الحق يا إنسان ظهر لك جليا فأعجزك عن إدراك عقلك الذى به تعقل لتعلم أن فيك قوة عاملة تعجز عن إدراكها وهى بين جنبيك، وحكم عليك بالجهل المطلق لأنك جهلت نفسك التى بها أنت إنسان تتصرف فى كل شىء فى السموات والأرض، وتستخدم بها كل من دونك من العالم حتى تبلغ تزكيتها مبلغا تخدمك فيه ملائكة السموات، وتبلغ بتزكيتها مقاما تشرف فيه على قدس العزة والجبروت، مشاهدا وجه ربك العلى الأعلى علمت يا إنسان سير الغذاء من فمك الى خروجه من الدبر، وشهدت الأعضاء وسير الطعام وعلمت وظائفها وخواصها ، فهل اطلعت على حكم بدائع صنعتها وذقت حلاوة سر ما فى كل جزء منها وفهمت عناية الله تعالى بك فيما أنشأ وأبدع وفيما أكرمك به ورفع قدرك بين العوالم ؟!

تطور العبادة :

معلوم أن الأمم الغابرة عاشت قرونا طويلة فى مهاوى الجهالة وتيه الضلاله، لم يبعث الله منهم رسولا ، ولم يقم منهم عالما مفكرا ، ومكثوا فى تلك الجهالة العمياء حتى عبدوا الأصنام ، وكانت عبادة الأصنام خيرا مما كان عليه قومهم ، ثم ارتقت الأفكار فاتخذوا النجوم آلهة ثم ارتقت الأفكار فاتخذوا الشمس إلها حتى رآوا ان الملك الحاكم عليهم هو الإله ولذلك ترى أن فى تاريخ الفراعنة ما يدل على أن الآلهة حكموا مصر ثمانى عشر ألف سنة وأن الإله أوزوريس "أبو الآلهة" علمهم الزراعة ، وأجرى لهم النيل وأن الإله "أوزيس" علمتهم غراسة الكرم ، وأن الإله "آمون راع" "ابن الإله" بين سبل العدل بينهم حتى اتخذوا الملوك آلهة بعد . ومن هذا الزمن ظهر التثليث فى بنى الإنسان ، وقد وجد فى آثار الهند الثالوث المقدس رمز إلى التثليث وهو ثلاثة رؤوس على جسم واحد . مكث الإنسان يتخبط لأنه دينى فلا يظهر بين الإنسان رجل يفكر باحثا وتلوح له ظلمة هى أقل مما هم فيه من الظلمات إلا قلدوه .

وليس تاريخ الأمم الغابرة ببعيد . كل هذه البلايا أساسها اعتناق دين باطل فمحا الله تلك الظلمات والضلالات عمن اقتدوا بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكان

كل نبى إذا مات انتسخت شريعته وضعف أتباعه عن تأييد سنته وانتشار دينه، حتى بعث الله خاتم النبيين بالحق بشيرا، ونذيرا. وسراجا منيرا.

وأراد الله تعالى أن يبقى نوره علّيا ودينه جليا، ولكن لايزال علي الأرض أمم أشرقت عليهم تلك الأنوار فعميت عنها عيون عقولهم التى هى أقل من عيون البهائم، ونشأ بينهم رجال مفكرون يبغضون ما جاء به رسول الله ﷺ من الحق تقليدا لآبائهم، لأنه لا تقبله عقولهم فمالوا بحسب الظلمه الطبيعية فيهم، والعصبية التى اكتسبوها بمعاشراتهم لآبائهم وهموا أن يرجعوا بالإنسان الى ما كان عليه من الظلمات قبل البيان فقرؤا كتب اليونان، والفراعنة، والفينيقيين، والفرس، والهنود، والصينيين وتلك الأمم لم يبعث الله فيهم رسولا ولا منهم وكانوا يتخبطون خبط العشواء فى البحث عن الحق الذى هو مقصد الإنسان؛ ومن أين لتلك العقول أن تصل الى الحق من غير الحق جل جلاله؟! إن الله تعالى أغنانا بالقرآن الجليل، الذى سجدت له عقول فطاحل البلغاء، وانقادت لنوره أهل العقول السليمة واستبانت لنا به حقيقة الإنسان وحكمة إيجاده وإمداده. بلغ بهم الجهل بحقيقتهم، والعمى عن نور مبدعهم وخالقهم، إلى أن جعلوا أصل الإنسان قردا، وإنا لنكره أن نرى إنسانا يعتقد هذه العقيدة حزنا على تلك الصور الإنسانية كيف تنحط إلى الدرك الأسفل من النار وهى مؤهلة أن تكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر؟!.

الأوربيون صورهم إنسانية وحقائقهم حيوانية :

أنت أيها الإنسان يكون أبوك أو أخوك تاجراً وتكون محتاجاً إلى شراء ما يتجر فيه فتتوجه للشراء منه، فإذا لم يكن الثمن أقل مما عند غيره أبيت أن تشترى منه أو وجدت فى نفسك عليه، وامتنعت من الشراء منه وهو أبوك الذى يملك نفسك ومالك، وإنك لو اشتريت منه بأضعاف ما تشترى من غيره لكنت فاعل خير. ولكن العقل يأبى على العاقل أن يقبل إلا ما فيه الخير له فى حاله ومستقبله وما يرى نفسه راضية بقبوله. فكيف يمنعك عقلك أن تشترى من والدك بأكثر مما تشترى من غيره، والذى خسرته لوالدك شيء زهيد؟ وترضى أن تبيع نفسك الكريمة ونور عقلك وشرفك ومجدك ومالك بالتسليم والانقياد والاقتداء برجل ذى عقيدة تقول للعقل: اقبلنى قهراً عنك! وذى أعمال تقول للنفس الطاهرة الزكية: فارقى هذا الجسد الإنسانى ليحل محلك نفس بهيمية لا تفكر ولا تبحث ولا تعمل لغد! ثم تقول للشرف الإنسانى والغيرة: فارقا هذا الهيكل الإنسانى، فإن من بنى الإنسان من حل

فيهم الرب فجعلهم منزهين عما هو من فطرة البشر لأن الرب حلَّ فى جسمهم فصارت قواهم الحيوانية ممزوجة بصفات الرب ، فلا ينتصب ذكر الواحد منهم ولو أدخله فى فرج امرأة، ولا يشتهى مالا ولا طعاماً ولا لباساً، فتسمع النفس وتطيع ويأبى العقل فيقهر حتى يفارق هذا الجسد الإنسانى ويأخذ معه الغيرة والشرف فيصبح الإنسان مجرداً من النفس الفاضلة الطاهرة، ومن نور العقل المضىء له، ومن شرف الفضيلة وغيرة الكرامة، ويصبح والصورة صورة إنسانية والحقيقة كما قال "دارون" حقيقة قرد يحاكى ما يلقيه عليه سيده الذى جعله آلة لسلب الأموال. وكذلك أهل الأديان التى حاربت العقول ليسوا أناسى وإنما هم قردة، وقد أخبر الله عنهم بقوله ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾[2] . فإذا فسرنا القرآن بالقرآن يظهر لنا أن الإنسان إذا قبل الدين الذى يقهر عقله وسلم له كان كالقرد يحاكى فقط أو كان أضل من الأنعام.

دين أوربا يرغب فى العيشة الحيوانية :

لا تعجب فأكثر أهل أوربا تلاميذ دَارون، وقد كادت تلك الحقيقة تكون مقررة فى أذهان نصارى الشرق، لأن تعاليم الدين المسيحى ترغب فى العيشة الحيوانية، وهم يعتقدون أنه ابن الله فلم يرغبهم فى العيشة الحيوانية إلا ليرجعهم إلى أصولهم. أستغفرك اللهم من حكاية أقوال من لا يعقلون، وأعوذ بوجهك الكريم من أن أقصد الشر لأحد من بنى الإنسان. اللهم وأنت سبحانك تعلم لا غيرك أنى لا أريد إلا الخير، فأنزل يا إلهى بيانى هذا من قلوب الذين بنتقدون علينا منزلته من قلبى من القبول واحفظنى .

ولما كان الدين المسيحى أوجب على الناس ترك الدنيا وكرههم فى العمل لها فيها، وأخبر أن الغنىّ لا يدخل الملكوت، ولم يتزوج أمام تلاميذه ولم يأمر أحداً منهم بالزواج وكان يتناول طعامه من أيدى الناس بلا عمل كان ولا بد أن يأمر بترك الزواج مرة واحدة أو بتزويج واحدة فقط، وإلا مات الناس جوعاً، لأنه لم يأمر بتعليم الصناعة والحرف ولا بالزراعة ولا بالعمل مطلقاً للدنيا فيها. فكأن دين المسيح دين الكسل

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٠ .

والبطالة والرهبانية، وسكنى الغابات والكهوف. ولذلك ترى أن أهل الأفكار منهم طالعوا التعاليم المسيحية التى تحتم على بني الإنسان أن يترك الحضارة والمدنية والتمتع بنعم الله من الائتلاف والتعاون، حكم أن أصل الإنسان قرد، وأنه لابد وأن يؤمر بالرجوع إلى ما كان عليه من العيشة فى الكهوف والغابات وترك استكشاف أسرار الكائنات وخواصها للانتفاع بها، وإلا ما الذى دعا دارون أن يقول : إن أصل الإنسان قرد ، ويقوم مبرهناً بالبراهين التى تنبىء عن فساد العقلية واختلال تركيب أمزجته وضعف المجموع العصبى.

مقتضيات التكوين :

نعم ليس بعجيب أن يجحد الإنسان موجده ، أو ينكر من بنعمه وفضله أمده؛ لأن الحقائق التى كون منها الإنسان تقتضى أن يكون فى الدرك الأسفل من النار. وإنما الإيمان والإقبال وذوق حلاوة التوحيد بفضل زائد على مقتضى حقائقه الإنسانية، إذ لو كانت تلك الحقائق تقتضى الهداية للحق والإسلام له لما وجد إنسان كافر على وجه الأرض. وإنا لنرى أكثر الناس أسرع إلى الكفر من الإيمان، وأميل إلى المعاصى من الطاعات لمقتضى حقيقتهم قال تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾(١).

والتوحيد، وذوق حلاوة الإيمان،والتقوى شيء زائد عن الحقائق يتفضل الله به على من يشاء من عباده وإنا قد سمعنا بالتواتر أن الإنسان قد حارب الله بالسلاح، وأن الإنسان ادعى الربوبية، وقال أنا ربكم الأعلى وأن الإنسان حكم أن إنسانا لا يضر ولا ينفع إلها أوحل فيه الإله أو ابن الله لا عجب إن أنكر الإنسان نفسه المحسوسة فإن من الإنسان من أنكر وجود نفسه ، فاشكر الله أيها الإنسان الذى وفقك للتوحيد وجعلك من أمة حبيبه ومصطفاه ومنحك الخشوع والتسليم لحكمه، واعتقد أن الله تفضل عليك فضلا لم يتفضل به إلا على من كان على عقيدتك ومذهبك، وأن الله تعالى سلب هذا الفضل ممن قدر أن يجعلهم مخلدين فى الدرك الأسفل من النار ولا يسأل عما يفعل.

(١) سورة الأنعام آية ١١١ .

عاقبة المكذبين والملحدين :

أيها الإنسان اعتقد أنك إذا ألقيت بنفسك فى النار ـــ وهو شر الشرور ـــ يكون خيراً من أن ترى من يعتقد تلك العقيدة؛ لأنك إذا رأيت صورة الإنسان تستر فيها شيطان إما أن تحزن خوفا على نفسك من سوء العاقبة، أو تخشى أن يوقعك فيما يغضب الله، ويهوى بك فى هاوية البعد عن الله تعالى !. إذا سمعت يا أخى مثل هذا الكلام فقل : أعوذ بالله ممن أضلهم الله على علم !.

أكتب وأنا آسف! على تلك الأنفاس النفيسة التى اضيعها وأنا فى زمان النور مع قوم نبشوا القبور . وإنى على يقين حق أن كل ناطق بالضاد ممن نور الله قلبه بالتوحيد يسخر من هذا الكلام حفظ الله أهل التوحيد بما أودعه فى قلوبهم !.

وقد حمل هذه الأفكار المضلة والآراء المفسدة بعض من وفدوا على الشرق ممن وجهوا وجوههم لفك عروة المجتمع، وسخرهم أعداء الحق والعدل لاشتغال الناس بما يضر، والتفاتهم عما ينفع، فأقبلوا على الشرق زرافات ووحدانا منهم المبشرون الذين أسسوا المستشفيات والمدارس لهذا، ومنهم من ادعوا الفلسفة وقام تحت هذا الستار يثبت أن أصل الإنسان قرد ودعا من لا خلاق لهم بهذه الأباطيل، حتى صارت أحاديث الممرورين والمرضى بالجنون ممن تلقوا فى صباهم التعاليم فى تلك المدارس وخدموا هؤلاء الوافدين قال الله تعالى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾(١) هؤلاء: قوم دينهم دون عقولهم فإن النور الإسلامي انتشر كسرعة نور الشمس فى جميع الآفاق فنبه العقول والأفكار؛ ولكن أكابر الأمم وساداتهم، وقفوا فى وجوه الناس خوفاً من زوال السيادة ومحو الرياسة، فأبقوهم على ما هم فيه من الظلمات، وملأوا القلوب بغضا للحق وحامليه، ففترت العقول وسبحت فى ظلمات الأباطيل ولهم العذر؛ فإن دينهم لا تقبله العقول، وبغضهم للحق لا يجعلهم يألفونه، فإن نبشوا القبور، أو قالوا بالنشوء والارتقاء فلهم العذر لأنهم لم يستنيروا بنور الحق ولم يهتدوا إلى ركن مكين منه ولم يتقبلوا العلم النافع .

الشمس فى رائعة النهار لا يراها الخفافيش:

ليس لمن له بصر يبصر الشمس أن يقهر الوطواط على الخروج نهارا من حفرته؛ لأنه

---

(١) سورة التوبة آية ٣٢ .

فقد البصر الذى به نورها وكذلك هؤلاء فقدوا عيون القلوب التى تبصر بها الحق.

وأن اللوم والعتب على من تحت قرص الشمس وفى أفق إضاءتها كيف ينكر نورها وحرارتها ويخلد إلى ظلمات العمى ويهوى إلى الدرك الأسفل من النار؟ فكيف بمن هو فى العافية الروحانية - التى نفس واحد بها خير من الدنيا وما فيها - يغتر بصحيح الجسم مريض النفس؟! هؤلاء يقولون: الإنسان قرد ليهدموا أساس دينهم الذى يقول: فلان هو الله، أو ابن الله، أوحل فيه الإله فرارا من تلك الظلمة إلى ظلمة غيرها؛ والنفس تتوق إلى تحويل الأحوال ولو كان من نار إلى نار، ولكنك أيها المسلم تشهد من تفضل الله بأكمل النعم لك على يده وهو سيدنا ومولانا محمد ـ ﷺ ـ تشهد له أنه لله عبد ورسول يدعوك إلى الحق الذى تحس بنعمه وتلمس إحسانه وكم قال لك: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد﴾[1] وقال لك: ﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[2] وقال لك: ﴿من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد﴾[3] كل ذلك يقوله لك وهو مأمور أن يقوله من الله تعالى. هل بعدتلك الأنوار وظهور تلك الأسرار لك أيها المسلم تغمض عينيك وتلقى بنفسك فى هاوية الظلمة وحضيض اللعنة معتقداً أن رجلا سئم دينه لفساده فى نظره وتخلص منه بما يقبله عقله المظلم وفكره الفاسد فتسارع إلى نقل كلامه والشك فيما أنت عليه من الحق؟ أعاذك الله ياأخى والمسلمين جميعا من مرض النفوس المعدى الذى هو أفتك من الوباء وأضر على النفوس من البلاء.

وإنى أنصحك وكل فرد ظن أنه يسود بنشر تلك الأباطيل وتجديد تلك الضلالات والقيام بالرد عليها أن يريح نفسه، فالباطل لا يحتاج إلى مبين لفساده هذا، وفتح تلك الأبواب غاية تفرح بها تلك النفوس الخبيثة كالأجسام المريضة تكره الطعوم الجيدة وتميل إلى خبيث الأغذية، وترى كثيراً من المرضى يأكلون الطين، ويتلذذون بالاملاح وأنواع الفلفل والشطة بغضا فى الطيب من الأغذية، وكذلك مرضى النفوس يكرهون الحق، وما يتقرب به إليه، ويحبون الباطل وما يوصل إليه، حفظ الله المجتمع الإسلامى من أمراض الأخلاق بالتقليد! وأراح المسلمين جميعا من أعداء الله ورسوله وأعداء

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٨ .

(٣) سورة الكهف آية ١١٠ .

كتابه المجيد وأعداء الخير للمسلمين! حتى نحيا الحياة الإسلامية الحقة عاملين بكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - محافظين على حدود الله تعالى إنه مجيب الدعاء. ولولا أنى فى زمان التحصيل لكتبت رسالة وافية تجعل الإنسان يعلم مقدار ما يناله من الخزى والذل بنبش القبور فى عصور النور والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

الباب الثالث

أصحاب المذاهب المضلة والآراء الفاسدة والعقائد المفسدة

دعاة الصلاح والإرشاد :

إن كثيراً من الناس يدَّعون الصلاح، والتقوى، والعلم، والإرشاد ونواصيهم فى قبضة إبليس يوسوس إليهم بالأكاذيب والأباطيل فيقولون على الله ما لا يعلمون، وقد يبلغ الغرور بالرجل منهم حتى يعتقد أنه نافع، وضار، ومقدّم ومؤخّر، ومتكلم عن الله وعن رسوله وهو يهدم الشريعة من أعلاها إلى عاليها، ويمحو الآثار الشرعية والأحكام والآداب معتقداً أنه يتكلم عن الله، وترى كثيراً من الناس يصدقونه ويزيدونه غروراً بنفسه وهو منغمس فى لعنة الله وغضبه يتأول القرآن والسنة على حسب ما يلائم هواه من غير رعاية الآداب مع الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: "من كذب علّى متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[١] وقال تعالى: ﴿لعنت الله على الكاذبين﴾[٢]. ومسلم ذاق طعم الإيمان لا يسلم إلا لله ولرسوله ولأولياء الله العاملين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

شتان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

قولى هذا لا يجعلنى أنكر أن الله تعالى جذب إليه من أحبهم من خلقه فأفناهم عن وجودهم بوجود شهودهم، فيراهم الناس يمشون على الأرض وقلوبهم معلقة بالرفيق الاعلى، لأن الله أقامهم مقام من اصطنعهم لنفسه وهم أهل الذكر الأكبر والذين

---

(١) رواه البخارى فى كتب العلم الباب ٣٨ وكتاب الجنائز الباب ٣٣ وكتاب الأنبياء الباب ٥٠ وكتاب الأدب الباب ١٠٩ ومسلم فى كتب الزهد الحديث ٧٢ وابو داود فى كتاب العلم الباب الرابع والترمذى فى كتاب الفتن الباب ٧٠ وكتاب العلم الباب ٨، ١٣ وكتاب تفسير القرآن الباب الأول وفى كتاب المناقب الباب ١٩ وابن ماجه فى كتاب المقدمة الباب الرابع والدرامى فى كتاب المقدمة الباب ٢٥، ٤٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٧، ٨٣، ١٢٣ ١٥٠، ١٥٩، ١٧١، ٢٠٢، ٢١٤، ٤١٠، ٤١٣، ٤٦٩، ٥١٩ وفى الجزء الثالث صفحة ١٣، ٣٩، ٤٤، ٤٦، ٥٦، ٩٨، ١١٣، ١١٦، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٠٣، ٤٢٢، وفى الجزء الرابع صفحة ٤٧، ١٠٠، ١٥٦، ٢٠١، ٣٦٧، وفى الجزء الخامس صفحة ٢٤٥، ٢٩٢، ٤١٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦١ .

ينالون الرضوان الاكبر صغرت الدنيا فى أعينهم فزهدوا فيها وهم أحوج ما يكونون إليها. جاهدوا أنفسهم فى ذات الله حتى استلانوا ما استوعره المترفون. وعلموا سر الحكمة فى الإيجاد والإمداد حتى بلغ بهم العلم عين اليقين أو حق اليقين، لا يغضبون الا لله، ولا يرضون إلا لله، ولا يفرحون إلا بفضل الله وبرحمته، ولا يأنسون إلا بالله تعالى أولئك هم أولياء الله.

أما من توعدهم الله بالخلود فى النار باتباعهم خطوات الشيطان التى من شرها أن يقولوا على الله مالا يعلمون، وهم أهل البهتان الذين يفترون على الله الكذب ليتنعموا فى تلك الدار الدنيا بما يوقعهم يوم القيامة فى نار جهنم، أعاذنا الله تعالى بوجهه الكريم من اتباع الحظ والهوى ومن البدع المضلة! وإن الذين يقولون على الله مالا يعلمون لا يخفون علينا، فمنهم الشاطحون والتائهون الذين يظهرون للناس أنهم فى فناء عن الدنيا وحضور مع الله تعالى وكذبوا لأن أهل هذا المقام جائعة بطونهم، عارية أبدانهم ظمآنة أكبادهم، سكنت نفوسهم إلى ربهم وصبرت مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، رضوا عن الله بعد أن رضى سبحانه عنهم، لا فرق عندهم بين الذُرة بضم الدال وبين الذِرة بكسرها، آثروا الناس بحطام الدنيا، وقهروا أنفسهم جهاداً ومنافسة فى نيل رضوان الله الأكبر ومن هم؟ وأين هم؟ فليتق الله الضالون المضلون فإن عذاب الله شديد!

سر العداوة البينة من الشيطان لنا:

لقد بينت لك أيها القارىء فى كتاب: (الطهور المدار)[1] سر تلك العداوة البينة من الشيطان لنا، وأشرت لك إلى معنى الشيطان وما فيك منه مما يتصل بقلبك، وأعلمتك أن أبوابه التى يدخل منها عليك هى جوارحك المجترحة وشرها بطنك فإنها المعقل الذى يمد تلك الجوارح بالخير أو بالشر، فاحذر أن تكون عبداً لبطنك، وضيق الخناق على النفس الشهوانية فلا تدخل فى بطنك إلا الحلال الطيب على قدر الضرورة، واحذر أن تتوسع فى المباح فيصرعك الكفاح، وقد بين الله لك قدر الدنيا، وشرح لك رسول الله ـــ ﷺ ـــ ما خفى عليك من القرآن، وما وصل الواصلون إلى الله إلا بالجوع، والسهر، وقلة الكلام المباح، وملازمة الخلوة محاسبة للنفس ومراقبة لجلال الله ومشاهدةً لجماله العلى حيث الأنس به سبحانه. ولا تصحب إلا من ثقل ميزانه بما

(١) يطلب جميع تراث الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم قدس الله سره من دار الكتاب الصوفى ١١٤ ش مجلس الشعب.

وضع فيه من العلم بالله والأدب مع الله ورسوله ومن العض بالنواجذ على ماكان عليه رسول الله - ﷺ - وأصحابه، واضرب بما خالف ذلك وجه الحائط، وأطلب العلم من العارفين ولو بالصين، واحذر من صحبة الذين يقولون على الله مالا يعلمون فان صحبتهم ذل لغير الله فى الدنيا، وعذاب شديد يوم القيامة. أعاذنا الله من الفتنه! خصوصاً فتن هذا الزمان العمياء الصماء - التى جذبت قلوب أهل الهوى- مما أبتدعه الضالون المضلون الذين تلقوا علم الدنيا فى بلاد اوربا، الذين ذهبت غيرتهم لله ورسوله وأطماعهم فيما فى أيدى أعداء الله من زينه الحياة الدنيا.

حقيقة الإنسان:

وقد كثر فى زماننا هذا أتباع الشياطين بما نراه من آثارهم من التظاهر بعمل الفحشاء والمنكر، وبتعصبهم لأهل المذاهب المضلة والآراء الفاسدة والعقائد المفسدة. ولولا الإطالة على القارىء لبينت أنواع الذين يقولون على الله مالا يعلمون فى زماننا هذا ولكن ندعهم بعد قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾(١) فنسأل الله أن يهدينا صراطاً مستقيماً.

وهنا أعرفك أتباع من يقولون على الله مالا يعلمون، إنهم شر الخلق لعدم بصيرتهم التى ينظرون بها الى الحقائق التى تجعلهم من أهل علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين، وتلك المراتب هى الحجة على أن الإنسان إنسان بمعناه، فإذا حرم تلك البصيرة كان أضل من البهائم السائمة، وغاية ما فى الأمر أنه على صورة الإنسان ولكنه كالقرد الذى يسمى: " إنسان الغابة" أو كالسمك الذى: يسمى: "إنسان البحر" ففى الغابة قرد يمشى على رجليه ويعمل أعمال الإنسان: من الغضب، والرضا، والضحك، وتحصيل قوته إلا أنه لا ينطق، وفقده النطق حجة قاهرة على أهل الجهاله بالحقائق القائلين: إن الإنسان أصله قرد. وإن رأيت رجلاً يسلم لغير الحقائق التى يقبلها العقل فاحذره ولا تبح له علماً فيفسده. قال عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿لا تلقوا الجواهر تحت أقدام الخنازير﴾(٢)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٢ .

(٢) رواه الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين ١ / ٣٤٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٩ / ٣٥٠ والسيوطى فى اللآلئى المصنوعة ١ / ١٠٨ .

وكان ﷺ إذا أراد أن يتكلم فى علوم اليقين قال لأصحابه : ﴿ أجيفوا بابكم ﴾[1] أى أغلقوه ثم يقول: ﴿أفيكم غريب﴾[2] والغريب هنا والله أعلم هو فاقد القابل ولو كان عابداً زاهداً .

حرمان أتباع أهل المذاهب المضلة من القابل :

قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءَنا ﴾[3] يبين الله لنا حرمان من أتبعوا خطوات الشيطان من القابل الذى يقبل عن الله آياته لنعلم أن تلك الآيات الجلية فى الكائنات، وأن ما جاء به الرسل – عليهم السلام– من البينات – إنما هو حجة على من لم يجعل الله له عقلا يعقل عنه سبحانه وتعالى، ونوراً تستبين به سبل الله تعالى. وأما من منحه الله القابل فانه يقبل أسرار الله ويفقه اياته، قال ﷺ: ﴿المؤمن يكفيه قليل الحكمة﴾. وقال تعالى: ﴿إن الهدى هدى الله﴾[4] وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله– ﷺ– لما دعا اليهود إلى العمل بما أنزل الله تعالى أخذتهم العزة بالإثم فقال عنهم رافع بن جارحة وخالد بن عوف: "بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا" وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم فالسبب خاص والحكم عام.

وهذه الآية الشريفة خبر عمن خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً﴾[5] والخروج من الخطاب إلى الغيبه فى فصيح الكلام من المعجز .

وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾[6] أى إعملوا بما أنزل الله على حبيبه محمد ﷺ . فخالفوا أمر الله تعالى وقالوا : " ﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾[7] أى نعمل بما وجدنا عليه آباءنا بالله كفراً وعناداً برسوله ﷺ ، وتكبرا عن الحق. فشنع الله عليهم

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٠٦، ٣٨٨، وفى الجزء الخامس صفحة ٢٦٢ وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١١١/٨ فى موارد الضمآن ١٩٩٦ وابن حجر فى فتح البارى ٥٨/١١ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الزكاة الحديث رقم ١٣٣ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٧٢، ٢٤٦، ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧٣ .

(٥) سورة البقرة آية ١٦٨ .

(٦) سورة الاعراف آية ٢ .

(٧) سورة البقرة آية ١٧٠

وأخزاهم بقوله: ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾(١)

العاقل حقا من عقل عن الله تعالى:

والمراد بآبائهم هنا هم آباؤهم الذين ضلوا فى زمان موسى، وعيسى - عليهما السلام - وبعده الذين شنع الله عليهم فى أوائل البقرة، ولم يقع منهم هذا الخلاف إلا وهم على بصيرة بما أثبته الله من بعثة حبيبه ومصطفاه من ولد إسماعيل فى سفر الخليل، وموسى عليهما السلام. شنع الله عليهم بتلك الآية لأنه جل جلاله خلق الإنسان وسطا بين العالمين بين عالم الملائكة وعالم البهائم، ومنحه عقلا يستعمله فى تدبير شؤونه، وتدبير أعماله، والمسارعة إلى نيل الخيرات اللازمة له، والتحفظ من الشرور أن يقع فيها. وجعل استعماله لهم ضروريا ليدرك أن الخيرات الكونية لا تنال إلا باستعمال هذا العقل؛ وقد فطره على الدين لأن الإنسان حيوان دينى فكما استعمل عقله فى أموره الدنيوية كان ينبغى عليه أن يستعمله فى أمورة الدينية فينظر فيما حوله من الكائنات نظر متعقل، ليعلم أن ما على الأرض ومن عليها ، عبيد مربوبون وعباد مقهورون. ليس على وجه الارض من يملك لنفسه منهم ضرا ولا نفعا، بل ولا فى السماء من أجرامها العظام وطبقاتها المتناهية فى السعة ما يضر أو ينفع بذاته، فيحكم أنه ليس فوقه فى هذا العالم أجمع إلا الله، وما عداه ومن عداه آثار رحمته وأسباب وضعها سبحانه؛ ليظهر لمن أحبه، فمن أهمل هذا العقل وقتله وقلد غيره تقليدا أعمى من غير حجه ولا برهان كان أضل من الأنعام.

بم يفتخر أهل العقائد المفسدة وعلومهم فنون تدعوا إليها الفطره؟!

لقد بين الله تعالى لمن قلدوا أباءهم من غير بصيرة ولا حجة أنهم استوجبوا غضب الله وانتقامة؛ بأن العقول التى تبحث فى هذا الكون - حتى تخترع الآلات والأدوات التى تغير بها وجه الارض وتستعبد بها عباد الله - ولم تبحث فيما أودعه الله فى تلك الكائنات من الدلائل على وحدانيته - من الآيات الدالة على قدرته وحكمته وعلى تفريده سبحانه وتعالى بالألوهة والربوبية والكمالات الذاتية الأسمائية الصفاتية ، كانت تلك العقول أدنى من عقول أخس الحيوانات، لأن كل حى من الأنواع السافلة له عقل يدرك به جلب المنافع ودفع المضار بقدرة، فمنها ما يصنع له الحجرات فى بطن الارض وفى المغارات وفى كهوف الجبال، ومنها ما يصنع له القصور العاليات فوق

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠

الأشجار ومنها ما يقود الجيوش لحرب اخصامه كالقرده فى جزيرة مدغشقر، ومنها ما يصنع النفق بين البر والبحر، ومنها ما يتعاون على جلب ضرورياته ويصنع له بيوتا هندسية بحجرات مسدسة يعجز عن اتقانها أمهر المهندسين، وغير ذلك من أنواع تربية الإناث منها لأولادها. فمن الحيوانات: ما يخرج أولاده من بطنه ويضعه فى كيس تحت بطنه ليتمم حمله، وبعضها تلد فيفر المولود من أمه بسرعة يكون فيها أسرع من الريح المرسلة وأمه تجرى وراءه حبا منها لتنظفة بلسانها ولسانها كالشوك لو لحسته لقتلته فينجو منها بعدوه ، ومنها ما يلد خارج البحر على الرمل ثم يرجع إلى البحر فيربى أولاده بالنظر اليها وسبحان القادر الحكيم.

هذا ما فطرت عليه الأنواع الحية السافلة، فيكون ما فطر عليه الإنسان أرقى من هذا بحسب ضرورياته، ولا يحكم على الإنسان بأنه عاقل حتى يدرك عقله ما هو ظاهر فى الكائنات من الآيات القائمة على وحدانية الله تعالى، فإذا لم يدرك هذا حكم على نفسه بأنه أخس من البهائم الراتعة. ومن حكم على أن أهل الكفر بالله أناسى معنى جعل الحقائق. ولكنهم أناسى مبنى لأنهم لا يعقلون إلا بالعقل المكتسب الذى دعت إليه الضرورة كما دعت الضرورة البهائم أن تعمل ما يعجز الإنسان.

عالم النباتات أكمل عقلا فى نيل ضرورياته من الإنسان :

وهنا أشير إلى أن عالم النباتات أكمل عقلا فى نيل ضرورياته من الإنسان فإنك ترى الأزهار فى النباتات الصغيرة تتحول إلى الشمس عند شروقها، وتدور معها إلى غروبها، وترى الأشجار الضخمة أول فرع منها يتجه حيث شروق الشمس، والفرع الثانى إلى غروبها حتى لا يضر أخاه بظله، والفرع الثالث يرتفع إلى الأعلى وكل ذلك لتتمتع الشجرة بحرارة الشمس ونورها، وكل نبات يكون فى ظل يمتد رأسه ناحية الشمس ولذلك فإنك ترى بعض النخيل إذا كان بجانب نخلة تحجب الشمس عنه يميل شرقا أو غربا؛ وترى فى الشجرة الواحدة أزهارا ذكورا وأزهارا إناثا فيلقح بعضه بعضا .

أوربا المادية خطر على الإنسانية :

ظهر لك أن ما بلغ إليه الإنسان مما يقولون عليه مدنية وإختراعا وتفوقا كل ذلك مفطور عليه الإنسان كما فطرت عليه الحيوانات والنباتات، ولذلك يقول الله تعالى :

﴿أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾.[1] نفى سبحانه وتعالى عنهم العقل الذى يعقل عن الله مع أن الإنسان من لدن آدم وهو اخذ فى الرقى حتى أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها بجهلهم بأنفسهم وبربهم أنهم قادرون عليها، والحقيقة أنهم ما عقلوا شيئا لأن الذى عقلوه من الصناعات، والفنون، والزخرف، والعلوم المتعلقة بظاهر الحياة الدنيا لاتخرج محصلها عن أنه نوع من أنواع البهائم الراقية: كالقردة، والنسانيس، والنمل، والنحل، والخيل، والطيور الرحاله؛ ومن ظن أن الفراعنة، والأكاسرة والبابليين، والأشوريين ممن أخنى عليهم الدهر، أو بنى الأصفر سكان قارة أوربا وسكان أمريكا أو الأنواع الحمر والسود من سكان الصين واليابان والسودان ممن لم يستضيئوا بنور الإسلام، يعقلون فقد أخطأ الحقيقة؛ لأنهم لو كانوا يعقلون لعقلوا عن الله تعالى ما أنزل اليهم مؤيدا بالحجة الدامغة والدلائل القيمة، فهم كما قال الله تعالى: ﴿أو لو كان أباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون﴾. والهمزة هنا للإستفهام توبيخا، فإثبات الله أنهم لا يعقلون شيئا حقيقة لأن العاقل حقا من عقل عن الله تعالى. أما من أخترع أو تفنن أو قهر خصومه بالقوة والحيلة فهذا جاهل لا يعقل، ما لم يكن ذلك بعد إيمان بالله تعالى وعملٍ بأمره ووحيه.

" ولا يهتدون " الهداية : هى بيان سبيل الله للعبد حتى ينهج عليها سالكا الى الله تعالى. فقوله سبحانه: " ولا يهتدون " ، أى أن سبيل الله تعالى تبين لهم بآيات الكتاب وبيان السنة، والقوم لما سجله الله عليهم، لا يقبلون الهداية لفقد القابل لأن الهوى أعمى عيون البصيرة عن أن تفقه آيات الله تعالى. وهنا إشارة خفية تبين لأهل التوحيد فى هذه الآية: وهى أن الله إذا قدر لعبد هداية جعل له نورا فى قلبه وجعله ينجذب الى الحق بأقل حكمة، وإذا لم يقدر الهداية لعبد أبعده الحظ والهوى والتقليد الأعمى عن فهم الحجج والدلائل وظن أنه يحسن صنعا.

أيها المدعى أن الإنسان أصله قرد :

مالك ايها الإنسان تقول الباطل! فإذا ظهر لك الحق تعصبت تعصب الأحمق الجاهل وأبيت إلا أن تجعل الباطل حقا وقمت فانتحلت حججا يأبى القط أن ينتحلها إذا خطف قطعة لحم منك يأخذها ويفر منك على الجدران كأنه يقول لك أنا مذنب والمذنب لايأمن جانب من عصاه، فإذا ناولته قطعة اللحم أكلها فوق ثيابك ولو ضربته

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠

لا ينتقل عن ثيابك .

فعجبا للإنسان الذى هو أجهل من الحيوان يقع فى الضلال، فإذا قامت عليه الحجة وظهر الحق جليا أبى المسكين أن يكذب نفسه كأنه أكبر من الحق وكأن الحجة إنما تقام للكلاب والقطط والحمير ولا تقام للإنسان الذى هو أدنى منها لأن تلك الحيوانات لا تحتاج إلى إقامة الحجة، ولكنها تشعر بالحق بنفسها. كفا أيها القلم فإن الإنسان حيوان مادام أن قواه الفكرية لا تخرجه عن حيطة المادة والعمل فيها لحظة وشهوته والتعصب للآباء والأهواء بل أقل من الحيوان، إنما عليك أن تبين الحق وليس عليك أن تقهر الناس على اتباعه .

الباب الرابع

الإنسان وما أدراك ما الإنسان ؟!

الإنسان ملك وأعلى وحيوان وأدنى وشيطان وأضر :

الإنسان حيوان كيفا وضروريات، ملك مقاما وخصوصية، إن كان مسلما عارفا، وتحقق نسبه، وعمل بالقرآن. وهوإبليس حظا وهوى إن جهل واستغنى. الإنسان قطب مدار العالم إلى أدنى مراتبه. ينتهى إلى ما دونه من الحيوانات ليكمل فى نوعه وتتولى مؤانسته العلويات إذا كمل وكمّله بالعلم الحقيقى، المؤيد بنور الحق، المطهر للنفوس من فساد الأخلاق، المزكى لها من سوء الاعتقاد. حتى تطمئن القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وتنفطر النفوس على حب النفع العام الذى يؤول بالعامل الى التلذذ بالحياة الأبدية فى روضات النعيم المقيم، بين الملائكة المقربين الذين يدخلون عليهم من كل باب بالتسليم والتعظيم.

ولا عجب فالإنسان بين نوعه قد تدفعه نفسه الفاضلة وأخلاقة الكامله، وعقيدتة الحقة ومعاملته الحسنة، وحبه لخير عامة بنى نوعه من الخلائق أجمعين إلى رتبة الإجلال والإعظام والحب حتى يفدى بالنفوس والأموال إذا ما تجمل به من الصفات المحبوبة للنفوس، والأخلاق المقبولة للإنسان، وهو منهم وبهم . ينظرون إليهم نظر الإكبار والإعظام وهو غريب عنهم، بعيد النسب منهم، وإنما قربته أخلاقة ورفعته أعماله، ورقته أحواله، لا ينكر فضله إلا عمى الطرف عن الفضيلة، كليل النظر عن المكارم محب لذاته، مبغض للخير العام والإحسان الحقيقى .

بينما نرى الآخر من الإنسان قد قلاه أرحامه، وكرهه أقاربه، ومله عشراؤه، وسعى فى ضرره أبناؤه، فكأنه مرض معد أو بلاء مؤذ، وهو القريب النسيب الحسيب. ما هذا ما ذاك ؟! إلا لأنه إنحط عن أدنى مراتب الإنسان حتى التحق بأضر الحيوانات أو أشر الشياطين .

فالإنسان ملك وأعلى، وحيوان وأدنى، وشيطان وأضر ، والمقتضيات لا تخفى على إنسان بمعناه الحقيقى. وإنى ليدهشنى ويذهل عقلى أن أرى الصورة الآدمية فى حضيض الأرذلين وأسفل سافلين. وسبل رقى الإنسان واضح مناهجها، وبين منارها

ظاهر طريقها. والإنسان من نفسه يشعر بذلك ويحس به. ولكن ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾[1] يبيع حظ النعيم المقيم المحقق، بعاجل أمل يزول مشكوك فيه لجهله لنفسه، واحتجابه عن ربه، وغفلته عن المآل ونسيانه للمبتدإ.

خلق الله الإنسان ليشهده غرائب قدرته ويشهده عجائب حكمته :

جعل الله الإنسان نوعا وسطا بين عوالم الملائكة والحيوانات، ووهب له العقل، وسخر له ما فى السماوات والارض، خلق آدم على صورته سبحانه سميعا بصيرا مريدا، وجعله خليفة فى الارض ومنحه عيونا فى قلبه يبصر بها أسرار الغيب من الآيات المنبلجه فى الآثار، وفطره على الدين فلا ترى فردا من بنى الإنسان إلا وهو يخنع لقوة يسميها "الله"، اهتدى إلى طريق الحق من هداهم الله وأخطأ معرفته من حجبهم الله.

خلق الله الإنسان ليشهده غرائب قدرته فى مكوناته بما جعل له من النور فى قلبه ويكاشفه بعجائب حكمته فى آياته بما منحه من نور الفكرة، وأعده لنيل الكمالات الروحانية، أو ارتكاب النقائص الشيطانية، قال الله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾[2].

فطر الله الإنسان محتاجا، وأحاطه سبحانه بالمكونات والكنوز، وجعل مفاتيحها العمل والفكر، لا لحاجة الله لذلك العمل، بل ليظهر الإنسان سر استخلافه ويشاهد معانى تنزلات الأسماء والصفات، ويترقى حتى يتحقق بالعجز عن إدراك كمالات الذات، والعمل كدح وذكر وفكر، ففطرة الإنسان على الاضطرار والحاجة وسرها فتح كنوز الخيرات والبركات له حسا ومعنى.

سعادة الإنسان بنيل الفضائل والبعد عن الرذائل :

للإنسان سعادة ينشدها العقلاء ويأباها الأغبياء، فسعادة الإنسان بنيل الفضائل التى يكون بها شبيها بالملائكة الروحانية، متجملا بجمال الأنبياء والمرسلين مما تبتهج به الأرواح الملكية، والنفوس المطهرة الزكية وليست السعادة مأكل شهى، وملبس بهى وملامسة لنساء على فراش وطيء، هذه سعادة البهائم السائمة بل وليست السعادة إفتراس السباع للأجسام، ولا ادخار المال الحرام ولا غدر لأهل الذمام ولا ختل للعقول

(١) سورة عبس آية ١٧.

(٢) سورة البلد آية ١٠.

كختل الثعالب أو اللئام، فإن السبع يفترس ظلما، والنملة تدخر غنما، والفأر يسرق غرما، والديك يأتى الدجاجة رغما، هذه سعادة الوحوش النافرة، والسباع الكاسرة، وكيف يتشبه الإنسان بالبهائم ويقول إنى إنسان؟.. نعم أنه طويل القامة عريض الأظافر، ضاحك بالطبع ولكنه لا يكون بذلك إنسانا، وكيف لا والله يقول: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا..﴾[١]

من هو الإنسان الذى أريده؟!

لا أريد بالإنسان الهيكل المعتدل القامة العريض الأظافر الذى يمشى على رجليه، لأنى سبق لى عند التكلم على درجات تكوين الإنسان الإشارة الى سر الحكمة فى تطوره فى تلك المراتب كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٢] وأشرنا إلى ما أودعه الله من القوى فى الإنسان، فإنه سبحانه وتعالى قد جمع فى الإنسان قوى بسائط العالم ومركباته، وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته، فالإنسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل، ومن أركانه وقواه أوجد: هو العالم. ومن حيث أنه صغر شكله وجميع مافيه: كالمختصر من الكتاب، وهو الذى قلل لفظه واستوفى معناه، والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم. ومن حيث أنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالذبد من المخيض، والدهن من السمسم، فما من شىء إلا والإنسان يشبهه من وجه، فإنه كالأركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وكالمعادن من حيث هو جسم. وكالنبات من حيث مايتغذى ويتربى وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم وكالسبع من حيث مايحرض ويغضب. وكالشيطان من حيث ما يغوى ويضل. وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده ويطيعه. وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التى كتبها فيه على سبيل الاختصار. فقد ذكر بعد الحكماء فى بدن الإنسان أربعة الآف حكمة وفى نفسه قريبا من ذلك. وكالقلم من حيث مايثبت بكلامه صور الاشياء فى قلوب الناس كما أن القلم يثبت الحكم فى اللوح المحفوظ.

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٤ .

(٢) سورة المؤمنين آية ١٢ - ١٤ .

ولكون الإنسان من قوى مختلفة قال تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾(١) أى مختلطة من قوى أشياء مختلفة. ولكون العالم والإنسان متشابهين، اذا اعتبرا، قيل: الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ما خلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة﴾(٢) فأشار بالنفس الواحدة الى ذات العالم.

ولما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعها معنى ليس بموجود فيها على انفرادها، كالمركبات من الأدوية والأطعمة، كذلك فى نفس الإنسان حصل معنى ليس فيه شيء من موجودات العالم وذلك المعنى هو مايختص من خصائصة التى بها تميز عن غيره من هيئات له كانتصاب القامة وعرض الظفر، وانفعالات له كالضحك والحياء، وأفعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الأخلاق. فالإنسان المقصود فى موضعى هذا هو الذى كملت فيه قوة التخيل والتصور والفكر والعقل، فإنه هو الإنسان القابل للكمالات النفسانية وهو المراد بشرح هذا الموضوع الجليل. وليس من كملت فيه قوة النزوع كالنبات، أو قوة جلب الخير ودفع الضر عن نفسه كالحيوان، فإنه ليس عندى بإنسان بمعناه الحقيقى سر قوله: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾(٤) فالإنسان هو المقصود من العالم كله، لأن الله خلقه بعد خلق جميع الكائنات، فهو زبدة الموجودات وخلاصتها بحكمة علية تظهر لمن ذاق حلاوة قوله تعالى: ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾(٥) ومن تناول من طهور شراب: ﴿إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾(٦) فالإنسان المقصود بالذات، خلقه الله تعالى ليجمل به ملكوته الأعلى. خلقه على صورته، جملةُ بمعانى صفاته، أشهدهُ بديع جماله، هو الإنسان المتخيل المتصور المفكر العاقل، وماعداه فحيوان على صورة الإنسان أو أضل من ذلك لجهله بمبدئه ومعاده وغروره بعاجل حظه وهواه.

---

(١) سورة الإنسان آية٢ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٨ .

(٣) سورة الفرقان آية ٤٤.

(٤) سورة الأعراف آية

(٥) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٦) سورة القمر آية ٥٤-٥٥ .

النظر فى الإنسان

الانسان كعبة بحث العلماء:

أفعمت الدفاتر بشرح خواص الإنسان، فلم يبق طبيب ماهر إلا وشرح حقيقة جسمه وبين أسرارها، وفصل أعضاءه وبين وظائفها وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها لها إن فقدت، فما من مفصل من المفاصل ولا وريد ولا شريان ولا عضو من الأعضاء العاملة إلا واختص به طبيب ماهر، حتى صار للسن طبيب خاص، وللجلد كذلك، فلم يبق فيلسوف إلا وجعل الإنسان كعبة بحثه، وأظهر غوامض أسراره، وقام علماء النفس فبينوا أنواع النفوس وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها عليها إن فقدت، وقسموا فضائل النفس ورذائلها وما به ترقى إلى منازل كمالاتها حتى يكون الإنسان إنسانا حقيقيا بمعناه. وكل تلك العلوم مأخوذة من القرآن الشريف، لأن الله سبحانه وتعالى بينها بصريح العبارة، حيث جعل الإنسان خليفة لجنابه العلى، وصورة مذكرة لحضرته العلية، ومخلوقا منحه القوة على أن يتحمل الأمانه، وجعله سبحانه وتعالى إن زكى نفسه وطهرها ووفّى بعهده وعمل بما أمره يجلس يوم القيامة على كرسى من نور حول العرش فى جوار ربه جلت قدرته وتنزهت ذاته، وإن ظلم نفسه وخالف أمر ربه وجحد نعمة المنعم هوى فى هاوية البعد ولظى القطيعة وأليم العذاب، ولما كان هذا المختصر وضع ليقظة القلوب أحببت أن أتكلم على الإنسان بما يناسب هذا المقصد.

الإنسان:

الإنسان هو النوع الوسط بين الملائكة والحيوانات، فهو بالنسبة لغذائه ونموه وحسه وحركته حيوان. وبالنسبة لإدراكه وقوة تصديقه بالغيب وتخيله الغائب بالمشهود ورقيه فى مراتب العلو حتى يدرك ما وراء المادة ويبلغ درجة أن يأنس بالمفارق ملك مقرب، هذا هو الإنسان . فالإنسان حان الشراب للسالكين، ودنان الراح للواصلين، والشراب الطهور للعارفين، ظهر مبناه وغاب معناه. وإن الإنسان بمعناه لابمبناه. وكم من وحش كاسر وشيطان ماكر وخنزير سفاد فى صورة إنسان. وكم من ملك روحانى وكروبى هائم فى جلال ربه وعال آنس بمعية مولاه فى صورة إنسان. فمن وقف عند الصورة وحكم عليه قال: حيوان. ومن نظر بعين البصيرة إليه قال: مخلوق تخدمه الملائكة،

وولى تولاه الله، ومحبوب قربه الله وإنسان سخر الله له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه. الإنسان صوره الله بيده طينة صلصالّية، ونفخ فيه من روحه القدسّية، وأسجد له ملائكته فقر بهم بسجوده وعلمهم، وأبى السجود له إبليس فأقصاه وأبعده لتركه السجود للإنسان. الإنسان قرّب الله به من قرب وأبعد به من أبعد.

الانسان مملكة عظيمة :.

الإنسان صوّره الله وهو منّى فى رحم أمه، فهو المصور لأبيه أولا والمصور لكل إنسان ثانيا، قال الله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾(١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾(٢) الإنسان جمع الله فيه الضدين، وأقامه حجة على عجز العقول عن اكتناه الغيب. جمع فيه العناصر المختلفة حقائقها المادية، وبين الروح المجردة كاملة النورانية، فألفت الروح العناصر وهى مفارقة لها، فسبحان القادر الذى لا يعجزه شىء. الإنسان مركب من النفس والبدن، وهو الوسط وخير الأمور الوسط ولذلك كان أهل القرآن خير بنى الإنسان لأنهم أمة وسط. ركبه الله فى أحسن صورة روحا وبدنا. وميزه بالنطق والعقل سرا وعلنا. زين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى، وجمل باطنه بما هو أشرف وأقوى. ومنحه الذكر والفكر والحفظ.

فالإنسان مملكة عظيمة وعالم صغير: النفس سلطان المملكة، والعقل وزيرها، والقوى جنودها، والحس المشترك صاحب بريدها، الأعضاء خدمها، والبدن كله محل المملكة، والحواس تسافر فى جميع الاوقات فى عالمها، وتلتقط الأخبار الموافقة والمخالفة تعرضها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس، لأنه بواب المملكة وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف، فسبحان من جعل هذا الجسم الصغيرة عالماً تنطوى فيه العوالم.

إذا تحققت هذا يا أخى وعلمت أن الإنسان جهات شتى: جهة يكون فيها مقرب من الله آنس بشهود جماله سبحانه وتعالى، وجهه يكون بها فى روضات الجنات، وجهه يكون بها فى أسفل سافلين مع مردة الجنة والشياطين؛ ونظرت بعين بصيرتك

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٢) سورة آل عمران ٦ .

فيما انطوى فى هذا الجسم الصغير من الأسرار والحكم، ثم جاهدت نفسك أن تنكشف لك أسرار النفس وكيف تعلقها بالبدن، أمتصلة هى أم منفصلة؟ وهل هى جوهر أم لا؟ وأين مكانها منه إن كانت متصلة؟ وظهرت لك من غرائب أسرارها أنها ليست جوهرا ولا عرضا، ولا محل لها فى الجسم، وأنها تعلقت به تعلق تدبير، فإنك إذا رأيت أنها تقبل صور الكائنات كلها معقولها وغير معقولها، ماديها ومجردها، وتحفظ ذلك ولا ينمحى بقبول غيره، ظهر لك أنها ليست جوهرا وليست عرضا لأن العرض لا يقوم به غيره، ثم تدبرت أفعالها الخاصة بها حكمت على نفسك بالعجز عن إدراك حقيقتها، سر قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[1]. عند ذلك تحققت بعجزك عن إدراك ربك سبحانه وتعالى، لأنك عجزت عن علم حقيقة مخلوق من مخلوقاته، فكيف تحيط علما بالخالق، تنزه وتعالى عن أن تدركه الأبصار أو تحوم حوالى عزته وعظمته الأرواح الطاهرة والنفوس الزكية.

الإنسان الكامل أفضل من الملائكة :

إذا صرف الإنسان همته ياأخى إلى جهة من تلك الجهات المتقدمة لالتحق بها. فإن وقف همه على حظوظ البهيمية رضى من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضلات، وإن صرفها إلى الحيوانية كان إما غضوبا كسبع، أو أكولا كبقر، أو شرها كخنزير، أو جزعا ككلب، أو حقود كجمل، أو متكبر كنمر أو ذاروغان كثعلب، أو جامعاً لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مَريدا وهو فى صورة إنسان.

فلا تغتر ياأخى بالصورة، فكم من إنسان جميل الصورة ذى هيئة وبزة ومال يعظمه الناس ويكون يوم القيامة أقل من الذرا. وإن صرف همته إلى الجهة الملكية يكن متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى، فيكون مرادا بقوله عز وجل: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[2] والله الموفق. وبذلك فضل كثير من العلماء الإنسان الكامل على الملائكة، وذلك لأن الْمَلَكَ روح مجردة والإنسان دائم الجهاد لم يخلص من مقتضيات عناصره ودعوات حظوظه وشهواته مما لاخلاص منه إلا بشق الأنفس.

قال الله تعالى: ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠ .

سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾[1] فأنت أيها الأخ الراغب فيما عند الله تبلغ بجهادك الأكبر تكون بها أفضل من الملائكة لأنك مجاهد وهم ليسوا بمجاهدين.

إنسان المؤمنين:

هو العالم الأكبر، فظاهر القلب عرش الرحمن، وباطن القلب بيته المعمور فإذا عمره بشهود معانى صفاته فيه كان سدرة المثل الأعلى وزجاجة المَثَل العلى، وكان الهيكل صورة الرحمن، ويكون الكون كله صورة هذا الإنسان الكامل محل استجلاء معانى الصفات، فظهر به الجمال والجلال ظهور الحقيقة لا المثال، وتشهد ذلك أرواح الحافين بالعرش، ونفوس المهيمين فى العرش، حتى يعم كل تلك الأرجاء نور الشمس فيكون نوراً على نور. فى الغيبة والحضور.. من هذا القلب المعمور تعرج أسرار البطون إلى السقف المرفوع "رأس الهيكل الكامل" وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور "ظاهر الهيكل" متفجرة ينابيعها من البحر المسجور "سويداء القلب". فتسخر العوالم علواً وسفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلي، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه. وهذا سر ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾[2].

الإنسان كون صغير.. والكون كله إنسان كبير:

معلوم أن حكمة الحكيم القادر اقتضت أن يكون الإنسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملكوت، فأبرزته القدرة كأنه صورة لجميع العوالم مع صغر حجمه، فالإنسان كون صغير، والكون كله إنسان كبير، فأودع الله سبحانه وتعالى فيه كل معانى الأنواع، فالإنسان جماد من حيث انه من طينه ويميل إلى السكون والراحة، ونبات من حيث أنه يتغذى وينمو، وحيوان من حيث أنه يحس ويتحرك، وملك من حيث أنه يشهد الغيب بدلائل المشهود ولا يعصى الله ما أمره ويفعل ما أمره الله سبحانه به إذا صفا وتكمل، وإبليس إذا نزع إلى هواه ورأيه وحظه ونسى يوم الحساب، وخليفة عن ربه إذا تجمل بأخلاق الربوبية. الإنسان هو الكل فى الكل، فسبحان القادر الحكيم يبلغ

(١) سورة النساء آية ٩٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

بكمالاته النفسانية إلى أن يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وينحط باتباع حظه وهواه إلى أن يكون فى هاوية السخط والمقت ولظى الجحيم، وبينهما دركات أو درجات قال الله تعالى فى التنبيه بقدر الإنسان: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.(١)

وقال سبحانه وتعالى فى بيان منزلة الإنسان العلية وما انحط إليه من البلية: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين﴾.(٢) وقال الله تعالى: فى بيان أن الإنسان قد يكون شيطانا :﴿شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾.(٣) فالإنسان هو الهيكل الصغير الضعيف كما قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان ضعيفا﴾(٤) وقال الله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٥) جامع لكل الحقائق الكائنات، يبلغ من المقامات فى القرب من الله تعالى ما به يطيعه الله ويجيبه، وينحط بالمعصية والمخالفة الى أسفل الدركات حتى يتمنى أن يكون ترابا.

الإنسان شجرة الرب سبحانه:

وهنا إشارة بديعة تشير إلى أن الإنسان شجرة الرب وأن النباتات شجرة الإنسان، ولذلك فإنك ترى ياأخى الإنسان رأسه فى العلو وأغصانه مدلاة على الأرض، فهو يتغذى وينمو وباب الغذاء عند رأسه، والأعضاء الباحثة عن جودة الغذاء وطيبه عند رأسه، فالأنف يشم الطعام قبل إدخاله فى الفم ثم يأذن بقبوله، والعين تنظر إليه قبل إدخاله ثم تحكم بجودته، واللسان يذوقه قبل بلعه ثم يرى صلاحيته فيرسله الى المعدة، والأسنان تهضمه الهضم الأول. وكذلك النبات فإن رأسه فى جوف الأرض وله عروق شعرية كاشفة، وعروق نباتية ماصة، فإذا وجدت الرطوبة دنت فمصت وإذا وجدت اليبوسة إنكمشت وتحولت، وكما أن الإنسان يمرض بترك الأكل أو بفقده فكذلك النباتات تذبل بفقد الغذاء فالراغب فى نيل مشاهدة الله تنكشف له تلك

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٢) سورة التين آية ٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ١١٢ .

(٤) سورة النساء آية ٢٨ .

(٥) سورة غافر آية ٥٧ .

الآيات فتنجلى له معانى التجليات، قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1].

الإنسان مظهر لظهور أوصاف الربوبية وأوصاف العبودية :

أجلى فيك ما به التعريف لو فقهت، ومنحك نورا به التعرف لو علمت، كما منحك أن تراك فيك وفى الآفاق بما اقتضته أسماؤه سبحانه من الأخلاق، فكنت مظهرا لظهوره، أمرك لتظهر حكمة إيجادك وهى ظهور عبوديتك، ووفقك لتكون خليفة عنه فى الملك الصغير، وسيدا وجيها متصرفا فى الملك الكبير، وأعد لك فيك وفى الآفاق من المشاهد العلية ما لا تبلغ ذوقه أعلى الملائكة، ولن يدركه أحد من العالمين، فإننا إنما ندرك منه سبحانه ماهو فينا مما لم يناله أحد من العالمين سوانا، والسعادة والشرف الذى حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا، وما ليس لنا ذاتيا يقتضى الشكر.

ومن جهل قدره فغره أنه مخلوق باليدين، وأنه مظهر وظهور لتقهر صفات الربوبية، ونسى أنه مظهرا أيضا لظهور صفات العبودية، حرم ذلك الملك الكبير ورد الى أسفل سافلين السعير فتفضله علينا بالإيجاد موجب لشكره، وأحسانه إلينا بخلقه لنا بيده، ونفخه فينا من روحه، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه، موجب لعبادته ودوام الرهبة منه والخشية... سبحانه.

الإنسان خليفة الله فى أرضه :

أنت أيها الإنسان بكمالك السهل عليك تخدمك الملائكة لمكانتك وقربك من ربك. وكيف لا ؟! وقد جعلك الرب جل وعلا خليفة فى أرضه، وجعل لك ما تشاء عنده. خلقك فى أحسن تقويم على صورته بمعانى صفاتة وسخر لك ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه، وهو القريب لك منك والمجيب لك عنك، أباح لك ما لا بد لك منه وأكمل، وحظر عليك ما أنت فى غنى عنه مما هو مضر لك ، وكلفك سبحانه من العبادات والقربات ما هو فى طاقتك ووسعك. وحبب إليك الفضائل التى ينافس فيها العالمون ، ويبذل لأجلها النفس والنفيس المقربون. لا لاحتياج منه سبحانه وافتقار، بل ليجعلك خليفة له ، ويجملك بأخلاقه ويقربك إلى حضرته ويؤانسك بمشاهدته. ولم يكن ذلك الذى رغبك فيه وحببه إليك، إلا قياما بنفع عام وخير شامل

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .

للعالم أجمع ليشعر قلبك الرحمة والحنان، ويكاشفك بأنه الفاعل المختار لكل شيء، وأن العالم كله كلمة من كلماته ومظهر من مظاهر آياته وصور تنبيء بقوته وقدرته، وبديع صنعه وانفراده سبحانه بالإيجاد والإمداد.

الإنسان مجمع الأضداد :

إن الإنسان مثنوى التركيب، فهو مجموعة من جسد جسمانى ونفس روحانية وعقل بينهما رقيب، والنفس والجسد جوهران متضادان فى الصفات، متباينان فى الغايات مشتركان فى الافعال العارضة وفى الصفات بلا مفاوضة، فالإنسان بمقتضى جسده الجسمانى ميال بطبعه الحيوانى إلى البقاء فى الحياه الدنيا، وكانت معصية آدم فى الجنة لتلك البغية، فخلوده فى الدنيا متمناه، فيرتكب لأجل ذلك من الرذائل ما لا يرضاه الله، وهذا هو مطلب الجسم الدنى وقصد الإنسان الغوى.

أما الروح فهو من أجلها طالب للدار الآخرة وبغيته الوصول اليها بالقلب اليقظ والعين الساهرة، ولذلك ترى أكثر شئون الإنسان مثنوية متتابعة، بين حيوانية وروحانية، فهو بين حياة وممات ونوم ويقظة، وعلم وجهالات، وتذكرة وغفلة، وعقل وحماقة ، وفجور وعفة، وبخل وسخاء، وألم ولذة، فتراه مترددا بين صداقة وعداوة، وذكاء وغباوة، وفقر وغناء، وبسط وغنى، وخوف ورجاء، وصدق وافتراء، وهرم وشباب، ومعصية فمتاب وخطأ وصواب، وحق وباطل، وقبح وحسن، جمع الله فيه الأضداد وتفضل عليه بخير الإمداد أسجد الله له ملائكته لما خلقه فيه من العجائب، وحير فيه الحجا لما أودع فيه من الغرائب، فتراه بين راق يتكلم فى رقيه مع الله شفاها وبين هاو إلى حضيض الأسفلين سفاها.

الإنسان الكامل كهيئة الأرواح العالية:

هذا ما قرره العلماء ومن شهد مشهد الأسماء والصفات بعد التزكية والتحلى بمشهد أهل الحكمة ثم التوحيد ثم التوفيق، يعلم أسرار الحكمة وأنوار القدرة المنبلجة فى كل رتبة من رتب الوجود، ولديها يتحقق أن الإنسان الكامل كعبة الأرواح العالية وسدرة منتهى علوم الخلائق من عالم الإنس والجن والملائكة الروحانين أجمعين، والأولى ترك الاعتراض على أهل كل مشرب فإن لكل فرقة مشهد تجلت لهم حقيقته ولا تقوم لهم به الحجة على غيره إلا إذا تزكت النفس التى أهلت لشهوده، ومن أراد أن يجمل إخوته المؤمنين بما جمله الله به من العلم والحكمة والمعرفة فالأولى له ترك

الجدل الذى ذمه الله تعالى وذم أهله، وعليه أن يهتم بتأليفهم وتزكية نفوسهم إن كان ممن منحهم الله البيان والعمل كما قال الله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1] فإذا تزكت نفوسهم ضرب لهم الأمثال المشوقة إلى ما يريد أن يبين لهم من الحق فإذا اطمأنت قلوبهم شرح لهم ما هم فى حاجة إليه بقدرهم، وهى طريق الربانين الراسخين فى العلم وألا يشوش على إخوانه المؤمنين ويدعوه جهله إلى تفرقتهم فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾[2] والله سبحانه وتعالى يمنحنا التوفيق لما يحب إنه مجيب الدعاء .

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

الباب الخامس

مواجيد فى الإنسان

للامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

"الإنسان هيكل من طين فيه نفخة من رب العالمين"

أيا أيها الإنسان من طين فخار ... تكونت كى ترأى مظاهر أسرارى
ومن نطفة أنشئت آياً جلية ... وصرت بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فأنت الطين والماء فاشهدن ... جمالى وإحسانى وسرى وأنوارى
أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً ... ولكننى أنعمت بالمدار
نسيت جمال الله فيك يتقظن ... فمن ينسه يلقى سعير النار
أيا طينة الصلصال من بجماله ... تحليت بالأنوار بعد فخار
أتنسى مفيض الفضل والجود والعطا ... وتهجر أورادى وتترك أذكارى
وللدون والدنيا تميل وترتجى ... نوال الرضا والعفو إحسان غفار
تذكر جميلى من "ألست" وبعدها ... وتابع سبيلى مخلصا ياسارى
ولا تنسى إحسانى إليك ورحمتى ... وكن مخلصا فى خفية وجهارى
ولا تشتغل بسواى ترفع للعلا ... وتحظى بفضلى صحبة الأخيار
فلا ينسى إحسان الجميل وفضله ... سوى مبعد أو جاهل وممارى

خلق الله آدم على صورة الرحمن

ياصورة الرحمن والنور العلى ... ياسدرة الأوصاف والغيب الجلى
فيك العوالم كلها طويت فهل ... أدركت سراً فيك من معنى الولى
خفيت بذاتك من معانى القدس ما ... لايشهدن إلا لذى قلب خلى
آآنست بالأكوان بعد شهوده ... وسجود أملاك العلى بتنزل
أولا سمعت "ألست" عند شهوده ... تومى بأن القدس أول منزل
فاهجر سكونك للكيان وبادرن ... بالعزم كى تسكن بوطن أول
فيك المعانى مشرقات بالذى ... يرقى به أهل الصفا بتأهل

ياأيها الماء
المهين من الذى سواك؟

يأيها الماء المهين من الذى سواك   ومن الذى فى ظلمة الأحشاء قد والاك؟
يانطفة بقرارها قد صورت   من ذا الذى بحنانه أنشاك؟
ياصورة من حسنة قد جملت   من ذا الذى بجماله حلاك؟
ياأيها الإنسان صرت مقرباً   فمن الذى بشهوده رقاك؟
ومن الذى بألست أسمعك الندا   ومن الذى لوصاله ناداك؟
ومن الذى تعصى ويغفر دائماً   ومن الذى ينسى ولا ينساك؟
ومن الذى يدنوا إليك بفضله   وإذا سألت جنابه أرضاك؟
ومن الذى عند الشدائد يقصدن   ومن الذى إن تسألن لباك؟
ومن الذى منح الجمال بفضله   ومن الذى بتلطف أحياك؟
ومن الذى شق العيون فأبصرت   ومن الذى بظهوره أعلاك؟
ومن الذى غذاك من نعمائه   ومن الكروب جميعها أنجاك؟
ومن المجيب إذا سألت بسرعة   وإذا طلبت وداده أعطاك؟
ومن الذى كشف الحجاب تودداً   حتى رأت أنواره عيناك؟
ومن الذى ملأ الفؤاد بحبه   وبقربه عند الصفا ناجاك؟
ومن الذى والاك نور يقينه   وبذكره وشهوده صافاك؟
فكر تراه ظاهراً بجماله   متنزلاً وهو الذى والاك
بك قد سمعت لك إعترفت فنظرةً   تعطى بها ياسيدى جدواك
ياظاهراً بجماله متودداً   جلل الرضا ياسيدى نعماك
ياباطناً بكماله ومنزهاً   أشهد عيون الروح سر علاك
أنت الولى تولنا بحنانة   حتى نرى حال الصفا معناك
عجبا لنا وألست نور مشرق   نسهو أيا موالى أو ننساك
والوجه أشرق حولنا بجماله   وعيوننا قد تشهد الأملاك
تتنزلن بتحية من ربها   يامن رأيت جمالنا بشراك
صلى على المحبوب نور قلوبنا   طه الذى بجماله حلاك

حقائق الإنسان
" الحس "

ياحس فى الملكوت كم أونست   بالوجه فى نور الصفا ووجهت
ياحس كنت مواجها بعوالم   من نوره الأعلى بها خصصت
ياحس يوم العهد حيث "ألست" قد   بايعت مختاراًوقد عوهدت
أهبطت بعد مشاهد قدسية   حتى إلى دار الفنا أنزلت
كيف التسلى بعد رؤية وجهه   فى صفو إيناس به أكرمت
كل الملائكة سجداً لك رغبة   لما لهم سر البها بينت
أنبأتهم بالغيب حتى حققوا   هلا لمن عاهدتهم وفيت
كيف التسلى بالدنىء وإنه   فان وبالوجه العلى نعمت
من طينة الفخار هيكلك الجلى   من نوره بيديه فضلا صغت
فيك المعانى شوهدت للملائك   أولى بها ياحس لو أدركت
فيك الجمال أضاء نوراً ظاهراً   للعالمين فهل لها سخرت
ياصورة الرحمن تحجب بالدنى   للقدس والزلفى به أوجدت
خل الدنى مسارعاً لحظائر   فيها البقا فيها لقد رغبت
ياحس تحجبك المظاهر ناسيا   عهد التجلى حيث قد ووثقت
الكل سخر طائعا لك مقبلا   لله ياإنسان قد أبدعت
لايشغلنك كل ماهو كائن   عمن خلقت له وقد جملت
لله ربك انت مخلوق فكن   عبداً خلقت له فلقربه أهلت
ياحس فيك غوامض الأسرار لو   فكت رموزك نورها أبصرت
أنشئت صورة حسن من هو قادر   كنز لسر الغيب فيه ظهرت
أحببه تشهد وجهه لك ظاهراً   لم يحجبن فى حيثما وليت
كن عبده يكن الوجود بأسره   طوعاً لأمرك حيث شئت وجدت
الحب فيه بالاتحاد منزها   عن درك غيب الغيب هل أدركت
النور أشرق فيك للملأ العلى   فتنعموا بجماله وحجبت
الغيب فيك بدا لكل مؤله   لو لحظة أقبلت قلت وصلت
كيف التسلى بعد ؟أن لاح البها   فى طينة بنزاهة وشهدت
ليست "ألست" بعيدة عمن صفا   أنوارها لاحت وأنت علمت
نص القرآن مبين لأولى النهى   والمصطفى المختار منه سعدت

حقائق الإنسان
" الهيكل "

هيكلى رسمى مشير للجمال	فيه غيب الغيب نور الإتصال
فيه نفخته العلية أشرقت	أنبأتنى أننى كنز الّلآل
هيكلى رمز لكنز مجمل	حالة التفصيل يحلو لى الوصال
أشهد المعنى به قد سطرت	وهو لوح الآى سر المتعال
صورة الإشراق من بدء إلى	أن يلوح النور من غير الخيال
وهو حان للظهور إذا صفا	من دواعى الحس من فىء الظلال
هيكلى السدرة تغشى بالضيا	إن تجردت اللطيفة من ضلال
يشرق الزيت المضىء به على	عالم الأعلى بحق لامثال
باليدين وفيه نفخة قدسه	فهو مشكاة ببدء ومآل
فيه بيت الله معمور به	عرشه الاعلى وكرسى انفصال
فصله قرب له فى حظوة	رتبة العبد بها نيل الكمال
حكمة الإظهار فيه أشرقت	أنه العبد فذق فحوى المقال
حفظ رتبتى التى هى رفعتى	رفعة القدر بها فى كل حال
جنة الرضوان تمنح نعمة	لى بها فى الكون من قبل انتقال
والعبودة حظوة الزلفى التى	خصصت للعبد من غير سؤال
وى تحجبنى العناصر وهى لى	موجب الجذبة سر الإتصال
والعناية سر إقبالى على	قابل التوب القريب المتعال
قبل نشأة أولى فى مبدئى	كنت ملحوظا بها فى الإمتثال
أيها النفخة يا شمس البها	أشرقى فى هيكلى هذا الجمال
هيكلى يا أفق أعلى أنت لى	لوحه المحفوظ سفلك صار عال

حقائق الإنسان
" الهيكل "

أنت يا هيكلى دنان مدامى — فيك غيب به يدوم هيامى
فيك نور المجلى وغيب التجلى — جمع ضدين فى شهود اصطلامى
فيك راح الأرواح حال التجلى — بالتخلى عن عنصر ورغام
أفق شمس الأخفى لكل منيب — كعبة الروح حالة الإحرام
طاف عالون حولها فى التدانى — عند رشف الطهور رفع اللثام
آه يا هيكلى وفيك كنوز — رمزها الظل فى على المقام
تشهدن نورك الجلى نفوس — قد تزكت من موجب الأوهام
أنت يا هيكلى محيط محاط — بالمعانى والعرش بعض الفدام
لو تجلت للروح منك معانٍ — حجب النور حيطة الأعلام
كل ما فى الوجود علوا وسفلًا — بعض ما فيك من جمال السلام
أنت فى العين قد تحاط بكونٍ — ذاك طلسم كنز غيب سام
تشهد الروح منك نور التجلى — إن تهنت برشف صافى المدام
آه والغيب مشهدى فى اتحادى — والجميل العلى كل مرامى
أشرق النور بالظهور بمعنى — من بطونٍ به حلالى ملامى
صار معنى الظهور عين بطونى — بالتجلى وفى بطونى مقامى
أظهر المقتضى بأفقى بيانًا — فى عيانٍ محصنٍ باعتصامى
عبد ذاتٍ والذل عزى ومجدى — بل أنا الطين وابتدائى ختامى
جامع بين مظهرٍ وظهورٍ — من معانى الأسما من الإسلام
أسلم العبد للولى تعالى — وجه الوجه رهبة الإعظام
آه والعبد فى مقام التدانى — جهله العلم رهبتى إكرامى
بين رهبٍ ورغبةٍ وخنوعٍ — صورة جملت بفحوى كلامى
آه والكون لوح محفوظ آيٍ — بالتجلى بالذوق لا الإفهام
حيطتى الوجه والجميل تعالى — فى جلال العظموت دع لوامى
ذاك حالى إذا أضاءت نعوتى — بحت لكن أخفى على مقامى

حقائق الإنسان
" الروح ... الهيكل ... النفخة "

أيا روح بالناسوت نيل شهودى ... له فاظهرى بالكشف حال وجودى
أيا روح ناسوتى هو المثل العلى ... وأنت له المصباح فى تفريدى
أيا روح رفقًا بى فإنى زجاجة ... ونورك إشراق بلا تحديد
أيا روح بدءاً لم تطقك ملائك ... فكيف يطيق الجسم فى تجديد
نعم هيكلى المشكاة فيه جماله ... ونفخته لاحت بلا تقييد

حقائق الإنسان
" الروح ... الجسم ... العقل ... النفخة العليا "

لروحى عين تشهد الغيب والخفا ... وفى الرأس عين تشهد الحظ والجفا
وللعقل عين تدرك الوسط الذى ... تستر بالأكوان إن صح لى الوفا
وللنفخة العليا عيون مضيئة ... تشير إلى المجلى إذا لاح لى الصفا
أنا الوسط الغيب المصون عن النهى ... إلىَّ انتهى علم الخلائق فانتفى
لأنى مشكاة المثال مجمل ... بأبدع إبداع يلوح لمصطفى
خفيت عن الألباب قدراً ونشأةً ... فلم يعرفن قدرى وقدرى قد اختفى
أنا الرمز مرآة الحقائق كلها ... ولى سخر العالون جاوزت رفرفا
حقيقة إنسانيتى دونها النهى ... وفى هرمى والسقم أسأله الشفا
ومن طينة الصلصال ربى صاغنى ... ليظهر فى السفل الدنىء لمن صفا

حقائق الإنسان

" الخيال .. الجَنان .. الوهم .. العقل .. النفس .. الروح "

مثل خيالى المبانى — رتِّل جنانى المثانى
صور أيا وهم معنًى — لاحت بكونٍ دان
يا عقل فاعقل غيوبًا — فى حيطة الأكوان
يا نفس سوحى رويداً — فى عالم الإمكان
يا روح فرى إلى ما — لم يدركن للفانى
غيب التجلى وغيب — من فوق غيب الجنان
قد أبدع الكون ربى — ينبى الفتى الروحانى
بالآى فيه تراءت — تهدى إلى البرهان
والآى تجلى علومًا — تبدى جمال المعانى
وى يا نبات اكشفن لى — من سرك التبيانى
كالأنجم الزهر زهر — والغصن كالعقيان
بل ريحه المسك طابت — أرجاؤنا فى التدانى

بدء الحقيقة الإنسانية

فى هيكلى الآى تجلى للمرادينا — فى جوهر النفس أسرار لعالينا
صوغ اليدين نعم رسمى تلوح به — شمس التجلى لأفرادٍ وراضينا
فى البدء كنت ضيا معناه متحداً — فى القدس منفرداً أدعوه آمينا
من قبل نشأتى الأولى أواجهه — من غير حجب ونور القدس نادينا
بدءاً أنا صورةٌ للحق أظهرها — بل سدرة غشيت من غيب هادينا
من قبل "كن" كنت فى كينونتى أجلى — نوراً لأسمائه فى آى ياسينا
فى العهد فصلى وفى الميثاق أشهدنى — معنى تنزله دنياى والدنيا
حتى انفصلت فكنت الكنز طلسمى — مشكاته فيه زيت الغيب مأمونا
أظهرت مظهره ينبى بساطعةٍ — من غيب أوصافه والحق والينا
آياته أشرقت للعقل داعيةً — للغيب فى مظهر التقريب مضنونا
أجليت للملإ الأعلى غوامضه — لى سخر الملك تحديداً وتكوينا
رق به آية التبيان ظاهرةٌ — منشور آيته فاشهده مكنونا
ما بين روحى ورسمى برزخ المجلى — حصن الشريعة يجلى فيه تعيينا

عناصر الوجود الإنسانى

أنا أنا من نطفة من طين   من نورك العالى لدى التعيين
آى العجائب فوق عقلى حكمة   أوجدتنى لعمارة التكوين
أظهرت أوصاف المعانى للنهى   حتى تحير عقل كل أمين
جمعت أضداد الوجود بأسرها   فى هيكل بادٍ تراه عيونى
ماء ونار بل تراب والهوا   جمعت بقدرة ذى الجلال متين
طبعى خبيث والنفوس غوية   والروح نفخة ربنا للدين
أعصى فتغفرلى أسىء تنيب بى   فضلا إلى الإحسان حصن أمين
نفسى ظلمت وأنت تعفو سيدى   بالفضل تنجينى من التلوين
وأفر منك إلى الهوى فتعيدنى   بالفضل منك إلى الصفا التمكينى
أوجدتنى أظهرت قدرتك التى   قد حيرت عقلى لدى تعيينى
أنا من؟ ظلوم جاهل يا سيدى   أنت الغفور أدر طهور معين
أنساك تولينى جمالاً ظاهراً   وتفيض خير الفضل جود معين
فى لحظةٍ وأقل ترفع مخطئاً   للحظوة الكبرى بنور مبين
فى طرفةٍ وأقل أهوى هالكاً   لولا العناية بؤت فى سجين
أعجزتنى عن شكر فضلك سيدى   قد صرت من نعماك كالمجنون
حمداً لذاتك بل وشكراً سيدى   أشهد عيونى باطن المكنون
حتى أكون لك العبيد مجملاً   بجمالك العالى إليك سكونى
ألق علّى محبة هب لى العطا   حتى أكون مؤيداً للدين

مقتضيات الوجود الإنسانى

هيكلى فى وجوده التعيينى   مقتضاه يدعو ظهور بطونى
بين نوعين من علو وسفلٍ   حيث وسط بنص حكم الدين
حيطتى ظاهراً هى السور تقضى   أننى صورة لمعنى الشئون
تدع نفسى لمقتضاها لأنى   يتجلى بمظهرى تمكينى
قلبى الأفق بالأواسط دوماً   يرتقى بالشئون رتب اليقين
ذاك معنى ظهور هيكل نفسى   وبطونى مفارق تكوينى
مقتضى ظاهرى به شغل سرى   بامتزاج التمكين بالتلوين
حكمة المقتضى تدق خفاءً   عن شهود العقول كشف العيون
سر بشريتى يلازم نفسى   كيف تصفو من سور تلك الحصون
يسرن مقتضى ظهورى بودٍ   يحلو منه إليك ثم سكونى
أحى قلبى فضلاً بما تمنحنه   رب ودًا يدوم منه يقينى
يصف سرى لله ربى تعالى   من دواعى لوازم التكوين
كل فردٍ يرجو المزيد لتقوى   روحه فى شهود نور الأمين
كيف أصفو وهيكلى مقتضاه   حجب نفسى لأنه من طين
زك نفسى من مقتضى كل سفلٍ   بالعطايا فضلاً "بكافٍ" "ونون"
روحنها بالروح منك وأسبغ   واسع الفضل أنت ربى معينى
أظهرن آية القدير إلهى   والولى المجيب يسر شئونى
لى تهل بمنعم وولي   لى تنزل وجددن تمكينى
ثبت القلب بالعواطف ربى   قلبنه فى نور حق اليقين
واجه العبد بالجمال وأيد   ه بروحٍ بها علو الدين
يا مجيب المضطر أدعوك ربى   باضطرارى وفاقتى وشجونى
أنت يا سيدى القريب مجيب   فاستجب سيدى لداعٍ مهين
جددن بى نهج الحبيب وأيد   بى إلهى بسرك المكنون
فرح العبد منك بالفضل ربى   أظهرنه بما يرى للعيون
نص آى تتلى بوعد كريم   سر معنى استخلاف أهل اليمين
وعد ربى للمؤمنين بآى   تتلى دومًا من الكتاب المبين
طمئن القلب يا سريع ويسر   سؤل عبدٍ فى لهفةٍ وحنين
يسأل الله فضله ورضاه   بالمراد الشفيع طه الأمين
صل ربى على الشفيع المرجى   سيد الرسل أفق شمس الدين

أطوار الوجود الإنساني

تطورت في أدوار أول نشاتي   وكنت ضياء مشرقا في الحظيرة
وفي سر أطواري بيان لآله   تحلى بمعنى غيب سدرة صورتي
أدور في سر التجلي تنقلي   وحولي نور الوجه من غير حيطة
علّي لقد صلى وفي الغيب محتدى   صلاة بها أخرجت من قاف رتبتي
ولم أك في حال التجلي بظاهر   لغيري وفي الأخفى تراءت حقيقتي
خفيت وفي الأسما ظهوري بظاهر   ظهرت وفي سر البطون معيتي
وما أنا في غيبي سوى نور مقتضى   معاني التجلي في خفا آدميتي
تنقلت والأسماء مشهدي الذى   أراه بلا كيف ولا رمز نسبتي
معاليم تنزيه تلوح بلا خفا   وأنوار تشبيه بمعنى علية
فما أنا في بدئي بلون لأنني   بلا فصل والنور المقدس وجهتي
ولا وصل حيث الوجه بالنور مشرق   فحجب عني نسبتي الأولية
فكانى بطونى للمعانى مظهراً   وكان ظهورى مظهرأمنه نشوتى
فلى فى بطوني مشهد بنزاهة   ولي في ظهوري مشهد بسريرتى
فلا الكون يحجب ما شهدت بداية   ولا النور يحجب عن عيونى طينتى
تحيط بى الأنوار والوجه مشرق   قبيل "ألست" فى خفا آدميتى
ولى مشهد من دونه العقل ساجد   وفى ترك تركى فالجلالة بغيتى
أحن إلى بدئى الذى كنت أولاً   به قبل أن ظهرت صوى بشريتى
حنين إلى نور الجلالة محرق   فأواه لو منت على بعودتى
وفى نص آى "كما بدأنا" إشارة   إلى نار أشواقى ونيران حيرتى
تحيط بى الأسوار والغيب نوره   يلوح لروحى مسعراً نار زفرتى
تحيزنى الآثار والقلب عامر   بمن لايحيط العرش منه بآية
وسعت أيا قلبى جمالاً مقدساً   لقد ضاق عنه العرش أجمل وسعة

من المضنون فى رمز آدم

على أحسن التقويم صغت حقيقتى ... وأبدعتنى مثلاً بسر الحكمة
وجملتنى بالآى أظهر خفيها ... لأشهد سر البدء فى سور رتبتى
تفضلت بدءاً اصغتنى بيديك فى ... مقام حنانٍ من عواطف رحمة
فأظهر لروحى سر بدئى أولاً ... لأشهد بالعينين حكمة نشأتى
بنعمتك الأولى لدى البدء سيدى ... تفضل بنعمى حب ذاتٍ علية
تفضل وجملنى ظهوراً ومشهداً ... به أتهنى فى رياض الحظيرة
سألتك مضطراً أعدنى مجملاً ... بسابقة الحسنى وخير المعونة
وأشهد عيونى ظاهراً بل وباطناً ... جمال ظهور الإصطفا لحقيقتى
لك الحمد أسعدنى بحبك وارفعن ... بفضلك قدر العبد رتب العبودة
وسيلتى القرآن والمصطفى الذى ... أتى بالهدى والنور نور الشريعة
تفضل وأظهرنى وأظهر بى الهدى ... وحصن عبيدك من عناءٍ وشدة
أذل خصوم المسلمين أعزنا ... ومكن لنا ربى بآى الشريعة
وصل على طه الحبيب محمدٍ ... صلاةً بها نحظى بفضلٍ ووسعة

من المضنون فى رمز آدم

فى أحسن التقويم صاغ حقيقتى ... بدءاً ليظهر سره فى سدرتى
فيها أنا المثل العلى لحسنه ... قد كنت نوراً ظاهراً فى نشأتى
لما أكملت من المعالم ردنى ... للأرض كيما أن يكمل رتبتى
بى قدست لما تجلى ظاهراً ... بالوصف غيبنى بسر هويتى
ظهر الجميل بصورة قدسيةٍ ... للعالم الأعلى برمز الرتبة
فى رسمى الأدنى تجلى وصفه ... قد صاغه بيديه سر الحكمة
أنواره قد أشرقت فى مظهرٍ ... أخفى المبانى فى ضياء القدرة

من المضنون فى رمز آدم

من أنا قبل الظهور أنا الجمال … فى سرادق مجده قدرى مثال
أسجد الأملاك فى جنته … أسكن الرسم لديه فى ظلال
ويح نفسى قد نهانى عن أنا … صار أكلى البعد عنها فى وبال
قد أكلت ثمار سدرتى التى … كانت الصورة فى حال الوصال
وى وعدت لأصلى الدانى الذى … صرت فيه فى شقاءٍ فى اعتدال
تبت تاب على جل جلاله … أشهد الحكمة فى رمز المقال
حبه فى الأمر والنهى إذا … قمت بالأمر وخالفت الخيال
وأنا المقهور أفعل ما يشا … عبده والعبد فى حصن العقال
فى جهاد النفس وهى أبية … حفظه بالفضل منه قد ينال
وى وفى رسمى غوامض غيبه … كنزه الأعلى يفك بلا انفصال
يظهر الظاهر للروح يرى … أشرقت شمس الجميل بكل حال
حبه يوليه منه منةً … لأولى القرب فيعطون الجمال
أظهرت لى الغيب فى نفسى وفى … تلكمو الآثار من قبل السؤال
حيث قد أبدعتنى لك صورةً … تشهد الأعلين غيبك فى انفصال

"تم بحمد الله وحسن توفيقه"

الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

نسبه : سليل آل البيت الطاهرين ، حسنى من جهة والدته حسينى من جهة والده .

مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢ م بمسجد سيدى زغلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ، ثم تدرج فى سلك الوظائف حتى صار أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية غردون بالخرطوم .

إقالته من وظيفته : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى الإرشاد والنصيحة للحاكمين بل لعامة الناس ، والتحذير من الوقوع فى حبائل الاستعمار ، فأقصاه الحاكم العام الإنكليزى من وظيفته فى ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥/٨/١ م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة فى ١٩٢٤/٣/٢م إلغاء الخلافة الإسلامية ؛ دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى ، وانتخب رئيسا لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر فى ١٩٢٤/٣/٢٠ م وناب عن شعب مصر فى حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ فى شهر ذى الحجة .

دعوته : أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١ هـ والطريقة العزمية سنة ١٣٥٣ هـ ومقرهما ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تذخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته فى التفسير والفقه وعلم الكلام والتصوف والفتاوى والسيرة والمواجيد .

انتقاله : انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٣ م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليفته الأول : ابنه الأكبر الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم ، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمى ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦ م ودفن بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليفته القائم : السيد عز الدين ماضى أبو العزائم ، المحامى بالنقض ، حفيد الإمام ، والابن الأكبر للخليفة الأول ، وهو شيخ الطريقة العزمية وإمام جماعة آل العزائم .

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين

في هذا الكتاب يرد الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم على نظرية دارون – التي أشاعها خصوم الإسلام في أمتنا الإسلامية – فحباه الله بعلم تتقاصر العقول عن تصوره، فجاء كتاب «إنسان المؤمنين... وإنسان الملحدين» ليبين أن إنسان المؤمنين هو آدم الذى خلقه الله من طين بيديه ونفخ فيه من روحه – وخلق منه أنثاه حواء – هذا هو الإنسان في معتقد الإسلام وهذه حقوقه، حُرْمَة دمه، وماله، وعرضه، واحترام مشاعره وعواطفه وأخلاقه.

أما إنسان الملحدين فقد خلق بواسطة النشوء والإرتقاء في أقبح صورة، ثم تدرج في ملايين السنين إلا أن أصبح قردا ثم ترقى إلى حيوان أرقى من القرد بعد ملايين أخرى من السنين، ثم صار إنسانا بعد ملايين السنين.

أخبر عن خلقه ونشوئه وتكوينه كبار الملاحدة، وشرار الناس وأكثرهم فساداً وفجوراً، ومآله الهلاك والدمار، بلا خلود له ولا بقاء.

والآن يا معشر العقلاء فأى الإنسانين أحق بالتكريم ؟!

وأى الإنسانين يجب أن يعترف به الناس أجمعون ..؟!

أإنسان المؤمنين أم إنسان الملاحدة الدارونيين ؟!

دار الكتاب الصوفي